



التمهيد: الطنطاوي والأدب الإسلامي

ويحتوي على مبحثين:

المبحث الأول: البيئة الزمانية والمكانية لعلی الطنطاوي

ويشتمل على:

- الحياة الاجتماعية.

- الحياة السياسية.

- الحياة الثقافية والأدبية، وأثرها فيه.

المبحث الثاني: مفهوم الأدب الإسلامي.



الطنطاوي والأدب الإسلامي

أصبح من الواضح أن الدراسة الأدبية لا تستقيم إلا إذا دارت حول محاور الأدب المختلفة الشاملة: النص، والأديب، والبيئة؛ إذ لكل واحد منهم أثره الواضح في البناء الأدبي أيا كان جنسه^(١).

فدراستنا عن «الاتجاه الإسلامي في أدب على الطنطاوي» تتطلب من الدارس التعرف على شخصية الأديب وبيئته التي نشأ فيها، وأثرها في أدبه، مما يدعونا إلى التعرف على أهم العوامل التي كان لها أثر في تكوين شخصية الأديب وتوجهاته؛ لأهميتها في فهم نتاجه الأدبي والحكم عليه؛ إذ إن الأدب صورة من شخصية الأديب، وإعلان عن هويته، وانعكاس لأخلاقه وطبائعه وثقافته.. وغير ذلك من العوامل التي يقع الإنسان تحت تأثيرها، والتي تنشأ من المحيط الاجتماعي والسياسي والثقافي الذي نشأ فيه.

ويبدو أن الطنطاوي قد أدرك أهمية ذلك، فكشف لدارسه عن نفسه في كتابه «ذكريات علي الطنطاوي»، وزوده بالكثير، وأبان له عن

(١) هناك رؤية أخرى تقتصر الدراسة الأدبية على النص وحده، سار عليها أصحاب «مذهب الفن للفن» على اختلاف شعبهم.

نواح عديدة من حياته ونشأته في صدق وصراحة؛ لكي يتمكن دارسه من أن ينطلق من ثوابت يستضيء بها في تقويم ما يريده من تراثه الضخم، دون أن يتخبط في أوهام التخمينات والظنون التي قد تصيب، وقد تخطئ! فتبتعد بالبحث عن موضوعيته.

وقد ألمح الطنطاوي إلى هذه الغاية فقال: «... وما أدري لماذا ينتظر الناس حتى يموت الرجل ليندبوه ويرثوه، ويثنوا عليه، وينحلوه مزايا ليست له، وفضائل ما كان له حظ امتلاكها. وإن كان كاتباً أو شاعراً فسروا أدبه تفسيراً لم يكن يخطر على باله، ونسبوا إليه أفكاراً ما خرجت قط من رأسه، بل ما دخلت إليه».

ولتجنب الوهم والخطأ في دراسة الطنطاوي؛ فقد أمدنا - رحمه الله - بفيض ضخم من المعلومات في «ذكرياته» التي بلغت ثمانية أجزاء، والتي تعد سجلاً أدبياً وتاريخياً أطلعنا من خلاله على الكثير من أحداث عصره وعلاقته بها؛ فنقل إلينا جل ما دار في محيطه الواسع بعدسته المصورة وبيانه العذب، نقلاً صادقاً، مؤيداً ذلك بما نقله من رسائل وقرارات وأجزاء مقالات بنصها. وفي هذا المبحث سأحاول - إن شاء الله تعالى - أن أقدم صورة للأديب بقلمه في محيطه الاجتماعي والسياسي والثقافي.



علي الطنطاوي

اسمه:

هو «علي بن مصطفى بن أحمد بن علي بن مصطفى
الطنطاوي»^(١).

لقبه:

«الطنطاوي» هذا اللقب نسبة إلى (طنطا) وهي إحدى المدن
المصرية، حيث قدم جد أبيه لأمه منها إلى دمشق في سنة ١٢٥٥هـ/
١٨٣٨م. وكان اسمه محمد مصطفى الطنطاوي، والذي لزم الجامع
الأزهر خمس سنوات قرأ فيه على علمائه وأخذ عنهم، ثم كانت له
مشاركات في التعليم والتأليف بدمشق، فترك كتباً صغيرة أكثرها في
الفلك، والرياضيات...^(٢).

كنيته:

كنى الطنطاوي عن نفسه في مرحلة من مراحل شبابه «بأبي

(١) ذكريات علي الطنطاوي. علي الطنطاوي ١ / ١٢٤.

(٢) السابق، ج ١ / ١٢٤ - ١٣٦.

الهيثم» ووقع بها بواكير مقالاته في مجلتي فتى العرب، والناقد. وقد جمع بعض هذه المقالات وأودعها كتابه «الهيثميات»^(١).

مولده:

ولد علي الطنطاوي في دمشق في حي العقيبة، وبها نشأ وترعرع. وكان مولده في فجر يوم الجمعة الثالث والعشرين من جمادى الأولى في سنة ١٣٢٧هـ / ١٩٠٨م^(٢).



(١) السابق ٢ / ٢٢.

(٢) السابق ٤ / ٧٣.

المبحث الأول

البيئة الزمانية والمكانية لعلی الطنطاوي

مما لا شك فيه أن للبيئة أثراً كبيراً في تشكيل وجدان الأديب وتوجهاته، حتى قيل: «الأديب ابن بيئته»؛ لأن الإنسان كائن ذو حس وشعور، يتأثر بالمحيط الذي يعيش فيه وينفعل به، ويحاول التأثير فيه.

وقد ذكر الطنطاوي ذلك الأثر كثيراً، ممثلاً له بقوله: «إذا أنزل الله الأمطار وجمع الله لها الظروف، التي جعلها سبب الإنبات كان منها هذا النبات، وكان منه هذا الزهر البارع والثمر اليانع، أو كان منه الشوك الجارح والسم الناقع.

وكذلك كل ما تسمعه، لاسيما إن سمعته في الصغر، أنه بذرة شر إذا جاءها الظرف المناسب، وضعتك على طريق الجنة أو على سبيل النار، فانتبهوا يا أيها القراء لما تنظرون فيه من كتب ومجلات، وما تسمعون منه من إذاعات ومحاضرات، وما تشاهدونه من مسلسلات ومسرحيات، ولا تظنوا أن أثر ذلك يذهب مع إكمال الكتاب، أو انتهاء المحاضرة، أو إسدال الستار على المسرحية، بل إن بعضه يبقى ما بقيت الحياة»^(١).

(١) ذكريات علي الطنطاوي. ٧٤/١. ط١. دار المنارة. جدة ١٩٨٩م.

ومن هنا يمكن أن ننظر إلى دور البيئة وأثرها في حياة الطنطاوي وأدبه.

(أ) الحياة الاجتماعية:

يرسم الطنطاوي من خلال ما كتبه صورة لمجتمعه، تصور ما كان عليه المجتمع وما صار إليه، فيذكر أن المجتمع الذي نشأ فيه كان مجتمعاً نقياً طاهراً، يحافظ الناس فيه على القيم ويتمسكون بالدين، حتى كان أهل دمشق في مثل طهارة الأطفال، فلا المادية تسيطر عليهم، ولا الشبه ترزع ما بهم. تمكنت العقيدة من قلوبهم، فكانت الأخوة تجمعهم، والعفاف زينتهم، والحياء يسودهم^(١).

وقد كان من مظاهر هذه الحياة اجتماع الأسرة الكبيرة في بيت واحد، وأكلهم من قدر واحدة، لكل أسرة كبير يجلسه ويوقرونه، حتى إذا اجتمعوا عنده قعدوا متأدبين خاشعة أصواتهم، لا يخالفون له أمراً، ولا يجرؤون عليه بطلب، ولا يبدؤونه بحديث، مع تسامح ومحبة وارتباط قوي وتعاون على البر والتقوى^(٢).

وقد انعكس هذا التسامح وهذا الرضا على حياة الناس، فكان الخير كثيراً، وكان كل شيء رخيصاً، لم يعرف الناس الترف، ولم يحفلوا بكماليات الحياة^(٣).

(١) صور وخواطر، علي الطنطاوي، ص ١٦٧، ط٤ - دار المنارة - جدة ١٩٩٨م.

(٢) ذكريات علي الطنطاوي، ١٤٤/١.

(٣) دمشق. علي الطنطاوي ص ١٢٢، ط٢، دار المنارة - جدة ١٩٨٧م.

كان كل فرد يؤدي دوره ويقوم بواجبه بلا تقصير ابتغاء وجه الله، فكان في كل حي جامع حافل بالعلماء، عامر بالدروس، يجتمع فيه الناس كل صلاة... وكانت هذه الجوامع كمجالس المديريات والمحافظات، والجامع الأموي هو مجلس الأمة، فهو مجتمع أهل البلد، وهو المدرسة الكبرى، وفيه تكون المذاكرة في كل أمر، ومنه يصدر كل قرار، وكانت الحلقات دائمة فيه لا تنقطع، حلقات الفقه، والحديث، والوعظ.

فكان للدين أثره في القلوب، ولعلمائه المخلصين هيمنة وتقدير في النفوس. ولم لا؟! وقد كانوا مرجع الناس في أمور دينهم وأمور دنياهم^(١).

وتبدو لوعة أديبنا وتحسره على ضياع ما كان يراه في مجتمعه من مظاهر الصفاء واليسر، والإخاء وصيانة الأعراض، والتمسك بالأخلاق والآداب، قبل أن يدنس المجتمع بمظاهر المدنية المادية، فيكثر لذلك من تكرار كلمة (كان، وكنا)، التي تشعر بالأسف على هذا الماضي الجميل، وشدة الحنين إليه.

يقول - رحمه الله: «... لقد كان الحي كأنه أسرة واحدة، فكان أهله شركاء في الفرش والآنية...، وكان الرجل يعد نساء الحي كلهن أهله، ويحفظهن ويغار عليهن كغيرته على أهله، وكانت كل امرأة تنظر إلى نساء الحي نظرها إلى أهلها، تقدر كل كبيرة تقديرها لأهلها، وتعطف على كل صغيرة عطفها على بنتها.

كانت تسليتنا قليلة، ولكنها نبيلة.

(١) دمشق صور من جمالها... وعبر من نضالها، علي الطنطاوي، ١٢٤، ط٢. دار المنارة. جدة

وكانت حياتهم همومها يسيرة، ومشاغها قليلة، فلا بطالة ولا عنوسة، فكانت البنت تتزوج في الخامسة عشرة أو السادسة عشرة، والشاب يتزوج في السابعة عشرة أو الثامنة عشرة، فلا يبلغ الثالثة والعشرين حتى يكون قد استقل بعمله أو صار شريكا لأبيه، وصار له مورد وصار له أولاد، ولم يعد كلا على أبيه، بل هو الذي يساعده...»^(١).

«وكان الناس لا يهتمون بسياسة ولا رياسة، ولا يتصلون بالحكومة إلا إن عرض عارض أو ألفت ملمة»^(٢).

فقد كانت الحياة الاجتماعية في مجملها كما يقول الطنطاوي: «ضيقة محدودة، ولكنها سعيدة محدودة (أي محظوظة)»^(٣).

ومن ثم فقد أشاد - رحمه الله - بهذه الحياة التي عاشت في وجدانه، والتي ظل حريصا على عودتها ولو من خلال ذكرياته وكتابات، ولطالما حن إلى عهد الجدود الذين كان يراهم أبعد عن حضارة أوروبا، ولكنهم كانوا أرضى لله منا وأقرب إليه، وكانوا أقوم أخلاقا، وأظهر قلوبا، وأصفى سرائر، وأصدق معاملة، وكانوا أسعد منا في الحياة^(٤).

ثم يورد الطنطاوي خبرا يوضح فيه بداية التحول لهذا المجتمع الذي كان مغلقا في أغلبه، لا يدري بما يدور حوله من أحداث، ولا يهتم

(١) ذكريات علي الطنطاوي، ١/ ٣٤.

(٢) دمشق. علي الطنطاوي ص ١٢٦.

(٣) ذكريات علي الطنطاوي، ١/ ٣٤.

(٤) من حديث النفس. علي الطنطاوي ص ٧١، ط ٢، دار المنارة، جدة ١٩٩٨ م.

بما عليه العالم من تحركات، فقد ظل مجتمعا هادئا ساذجا قانعا بما له من الحياة، حتى صدمته المدنية الغربية بمظاهرها المادية، فكانت أشبه ما يكون له بالسحر الذي أفقده اتزانته.

يقول الطنطاوي: «وأنا أذكر أن أول سيارة وصلت إلينا سنة ١٩١٦م، وخرج الناس ينظرون إليها، فلما رأوها لا يسحبها حصان، قال قائل من العوام: إن الجن تسيورها، فتدافع ضعاف القلوب هاربين، وهربنا نحن الصغار معهم!». أما الطائرة فقد جاءت قبل سنة ١٩١٥م، سمعت بذلك ولم أره؛ لأنني كنت صغيرا، وكانت قصة عجبا، تحدث الناس بها طويلا مع أن الطيران إنما ابتدأ سنة ١٩٠٣م^(١).

تلك الحياة الراضية الهائلة التي تكلم عنها الطنطاوي، سرعان ما تحولت إلى تعاسة وشقاء مع بداية الغزو الاستعماري الأوروبي؛ إذ صاحب الغزو العسكري لتلك الدول غزو أعمق أثرا وأكبر خطرا، وهو الغزو الفكري الذي أفرز انتشار ضلالات وشبهه، وانحرافات فكرية وسلوكية وأخلاقية أرادها المستعمر، واتخذها سلاحا موجها، سعى لتفعيل دوره في المجتمع المسلم بشتى الطرق، بهدف تطويعه وتحويله لمستعمرة يستغل مواردها ويضمن بقاءه فيها.

وهذا التحول السيئ في مناحي الحياة، والذي بدت مظاهره سريعا في المجتمع من تحلل وانحراف.. عدد الطنطاوي في كثير من مقالاته بعض مظاهره: من أدب مكشوف، وصحف مأجورة، وقوانين موضوعة،

(١) ذكريات علي الطنطاوي، ١/٣٥.

وخدع مصنوعة بإحكام،... مبينا أن هذا الكلام كله كان نتيجة للغزو الاستعماري، الذي قال عنه بعد أن عدد كثيرا من مظاهره: «... هذا كله ثمر الغرسة الخبيثة التي غرسها فينا المستعمر، وإنه لن يكون الجلاء حقا، حتى تجلوقوانين المستعمر عن محاكمنا، وشبهه عن رؤوسنا، وعاداته عن بيوتنا، كما جلت جنوده عن أرضنا»^(١).

ومن ذلك نلمح أن الحياة الاجتماعية التي عاش فيها الطنطاوي قد تطورت وتغيرت سريعا من السكون والقناعة إلى الصراع والطمع، ومن العفة والغيرة إلى الكشف والتهاون.

لذلك كان الطنطاوي ممن يبغض هذه الحياة الجديدة المسماة (بالمدينة)، ليس عن بغض لعلومها ومنجزاتها، وإنما لما جلبته معها من تسلط مزرر، وما تخفيه تحت ثوبها البراق من سم نافع يبتله أتباعها في عروق المجتمع وشرائينه، من فكر خبيث، وتقاليد قبيحة، لو لم تجد من يداويها لغيرت وجه المجتمع، وبدلت جلدته الإسلامية والعربية كلية.

ومن الواضح أن هذه الحياة الاجتماعية بمشاهدها وملامحها قد انطبعت في نفس الطنطاوي، وتركت أثرها في فكره، وانفعل بها وجدانه، ونما معها اتجاهه، فبدت ملامحها في أدبه، وبدا موقفه الثائر من تشويهاها وتحويلها عما كانت عليه من صفاء وطهارة، وقناعة وإيمان، وبدا جهده الساعي نحو بنائها بناء إسلاميا معاصرا، متصلا بأصوله ومنطلقا من ثوابته.

(١) صور وخواطر، علي الطنطاوي ١ / ٣٥.

(ب) الحياة السياسية:

من المهم التعرف على الحياة السياسية، وأحداثها في محيط الطنطاوي، وموقفه منها، لما لها من انعكاس عليه وعلى أدبه.

ولقد صور الطنطاوي النظام السياسي الذي عاش في ظلّه صورة كلية مجملّة، فقال: «ذلك أننا شهدنا في سنتين اثنتين مولد انقلابين، وموت حكومتين، أدركنا عهد الترك ورأينا ذهاب الترك، وعشنا في حكم (فيصل) ^(١) وأبصرنا انهيار حكومة فيصل، فكانوا كلما جدت حكومة ونحن في الصف الخامس أعادونا إلى الصف الرابع، فلم نستقر في الصف الخامس إلا سنة ١٩٢١ م، على عهد الفرنسيين، وقد كنا فيه سنة ١٩١٨ م على أيام العثمانيين» ^(٢). وفي هذا دلالة على ما كانت عليه الحياة السياسية حينذاك من اضطراب وقلق، وما كان عليه النظام السياسي من ضعف وهزال.

وحياة الطنطاوي نظرا لذلك. كما وصفها. كانت حياة صاخبة مليئة بالأحداث والمتغيرات والثورات والانقلابات، التي كان من شأنها أن أحدثت تغييرا عميقا في فكر المجتمع وقيمه بوجه عام؛ حيث أدرك الطنطاوي عهد الترك، وعهد الشريف، وعهد الفرنسيين، وعهد الاستقلال، وعهد الوحدة، ولكل عهد من تلك العهود مأس وأهوال

(١) فيصل الأول بن علي الحسني الهاشمي، أبو غازي ١٣٠٠ - ١٣٥٢ هـ، ملك العراق. من أشهر ساسة العرب في العصر الحديث (معجم الأعلام، بسام عبد الوهاب الجابي ص ٥٩٨).

(٢) دمشق... ص ١٤٠.

تبدلت فيها الأحوال، وتغيّر المجتمع في هذه السنين الخمسين أضعاف ما تبدل في القرون الخمسة الماضية»^(١).

إذ صاحب كل عهد من تلك العهود أفكار وأخطار، ودعوات فكرية ومذهبية أحدثت تيارات مختلفة تصارعت فيما بينها. هذه التيارات كان منها ما يهدف إلى إيقاظ طوائف الشعب، وبث الحركة والنشاط فيها، ومحاربة مظاهر الفساد، كل بمقدوره، وفي محيطه، فتولدت عن ذلك صور خالدة من البطولات والزعامات السورية، كان من بينها علي الطنطاوي. رحمه الله.

على أن أبقى هذه الصراعات أثرا وأعماقها خطرا، الاستعمار الفرنسي وما جلبه من بلايا مادية وفكرية، والذي بدأ خطواته اللعينة حين «رغب الجانب العربي في عقد معاهدة مع إنجلترا انتقاما لقوميته التي عبث بها العثمانيون... وقد انتاب العثمانيين حمى الطورانية، فساروا في هذا الشوط إلى نهايته. نعم ثار العرب ثورة مكتومة أمام هذا التتريك، ولم يقبلوا أبدا أن ينصاعوا له، فكانت الجمعيات العربية، والأحزاب والخطب والدعوة إلى الثورة خير دليل على كراهية العرب لسياسة التتريك هذه. وقد قابلت تركيا هذا الاتجاه العربي القومي المضاد بشيء غير قليل من القسوة والعنف.

فكان لابد للعرب من حل، وهم يبحثون عن الاستقلال عن الدولة العثمانية، بعدما زاد (الاتحاديون) في إيذائهم وفرض التركية عليهم،

(١) صور وخواطر، ص ٢٦٠.

ومحاربة العربية. وقد ألم العرب - خاصة - تلك السياسة العتيقة التي اتبعها الاتحاديون ضدهم...، ألمهم امتهان قوميتهم وأدميتهم، حين عبث بهم جميعاً أحمد جمال باشا، فأخذ ينفي العرب رجالاً ونساءً، ويبعث بهم خارج بلادهم... وكان للدماء الزكية البريئة التي سفكها هذا الرجل رنة من الحزن والأسى أصابت كل عربي، كما كان لجميع الشخصيات البارزة التي نعدّها بحق طلائع النهضة العربية أثرها - كذلك - في الرغبة في إعلان الثورة على الأتراك في كل مكان.

ترأى للعرب إذن وجوب الثورة على العثمانيين، فكان لابد لثورتهم هذه من زعيم يقودها ويدير أمرها، وقد وجدوا هذه الزعامة في البيت الهاشمي في الحجاز، وكان لابد من السلاح وقد وجد العرب هذه المساعدات من الحلفاء، لكنهم رغبوا ألا يكون ثمنها على حساب الوطن والاستقلال، ومن ثم عولوا على عقد معاهدة يضمنون بها وصول المدد والعون لإنجاز ثورتهم، ويضمنون عن طريقها الانتقام والتشفي من ظالمهم، وقد وجدوا استجابة من الإنجليز خاصة، استجابة ظاهرها رحمة وباطنها شقاء وعذاب، فكان حمل العرب السلاح ضد الترك ثورة لقوميتهم المهيضة.

فقامت على ذلك معاهدة الشريف حسين/مكماهون، مع الحلفاء إنجلترا وفرنسا، وأعلنت الثورة العربية في ٥ يونيو سنة ١٩١٦م، وكانت تلك الثورة التي قام بها الشريف حسين انتفاضة عربية خالصة تفانى القائمون بها في تأدية واجبهم على خير وجه، فاستطاعوا طرد الأتراك من شبه الجزيرة العربية، وساهموا إلى حد كبير في تخليص سوريا

من العثمانيين، حيث اشترك معهم الحلفاء من الإنجليز والفرنسيين، وانفرد الإنجليز بطرد العثمانيين من العراق...

ومن أبرز نتائج هذه الثورة العربية، أنها وحدت بين العرب بدوهم وحضرهم، فقد تناسى الجميع أحقادهم واندفعوا مع الشريف وأبنائه لاسترداد حريتهم المسلوبة، كما كانت خسارة الترك على يد العرب أعظم مما كان يتصور؛ إذ بلغ مجموع القوات التركية التي شملتها الثورة العربية بالقتل والأسر والعزل، حوالي ٣٥٠٠٠، وكان ذلك إبان احتلال العقبة، وقد زاد هذا العدد كثيرا بعد ذلك. كما لقي العرب في الشام. خاصة من جراء الثورة العربية الكثير من العنت والإرهاق، حتى ذهب ضحيتها في سوريا ولبنان أكثر من ثلاثمائة ألف نسمة! هذا بالإضافة إلى مئات المشردين! ومن قتلوا على يد السفاح التركي أحمد جمال باشا...

وقد استقبل عرب سوريا جيش الثورة العربية وجيش اللنبي القائد الإنجليزي. خير استقبال، مؤملين الخير على يد الإنجليز، الذين وعدوهم بالاستقلال والوحدة، ولم يدروا أن إنجلترا وفرنسا قد تأمرتا على حريتهم ووحدتهم في اتفاقية (سايكس / بيكو) في مايو سنة ١٩١٦م في أثناء مفاوضاتها مع العرب، ولقد قامت هذه الاتفاقية على تحقيق أطماع فرنسا القديمة في سوريا ولبنان، وأطماع إنجلترا في فلسطين والعراق.

لذلك لم يلبث «اللنبي» أن عمل على تنفيذ معاهدة (سايكس / بيكو) من الناحية العملية، فقسم سورية إلى مناطق احتلال ثلاث،

جعل القسم الشرقي من سورية- سورية الداخلية منطقة احتلال الجيوش العربية، وأما المنطقة الغربية- الساحلية- فقصره على الفرنسيين، بينما احتل هو بجيوشه الإنجليزية فلسطين، فكان هذا التقسيم العسكري خير دليل على نية الحلفاء المبيتة ضد العرب^(١).

وهكذا لم تتج سوريا من أنياب الذئب العثماني (الاتحاديين)، حتى وقعت في براثن الثعلب الفرنسي الذي غرها ومناها بالاستقلال، فلم تنهأ به حتى دفنته لها في ميسلون سنة ١٩٢٠م.

وظل الصراع مستمرة حلقاته بين سوريا وفرنسا، ومتلونة أساليبه، حتى تم لها الجلاء سنة ١٩٤٦م.

لكن ما خلفه الاستعمار كان أفظع وأخطر، ويحتاج إلى أسلحة أقوى وأمنع.

يقول الطنطاوي: «لقد ظهرت فينا أفكار غريبة عنا، ما كنا نعرفها ونحن صغار، أفكار جاء بها الاستعمار وصنائع الاستعمار من الذين تربوا في تلك الديار»^(٢).

ومن هنا ظهر أثر هذه التقلبات المستمرة، والصراعات الضارية على نفس الطنطاوي، وانعكست على أدبه بالرفض والغضب لما يكره تارة، وبالتأييد والرضا لما يحب تارة أخرى.

(١) الأحداث العربية في تاريخها الحديث. د/ طه شرف ص ١٤٦ وما بعدها، ط شركة توزيع الجمهورية، موسوعة التاريخ الإسلامي. د/ أحمد شلبي ٥/ ٥١٩.٥١٧، ط ٢. مكتبة النهضة المصرية.

(٢) ذكريات علي الطنطاوي ٩/٦.

(ج) الحياة الثقافية:

تبدو صورة الحياة الثقافية من خلال لونين من النشاط هما:

النشاط التعليمي، والنشاط الأدبي.

أما بالنسبة للجانب التعليمي عند منشأ الطنطاوي، فقد كان يسير في دمشق على طريقتين:

١. طريقة المشايخ الملتزمة بالأسلوب الأزهري القديم.

٢. طريقة المدارس النظامية.

أما طريقة المشايخ، فقد كان لها دور كبير في تثقيف العامة وطلبة العلم، وكانت لها حلقات ومجالس دائمة لا تنقطع، حلقات الفقه، والحديث، والوعظ..

وكان هؤلاء العلماء مرجع الناس في أمور دينهم وأمور دنياهم، يسألونهم ويقبلون منهم ويصدرون عن رأيهم، كانت كلمتهم مسموعة، وكان رأيهم نافذاً^(١).

وهؤلاء برغم جهدهم هذا في خدمة العلم وتثقيف الناس. اتصفوا بالجمود، فكانوا لا يعنون بالتجديد ولا بالاجتهاد واستنباط الأحكام، فهم عاكفون على كتبهم في حلقاتهم يكررون. غالباً. قراءة الكتب التي قرؤوها على مشايخهم، فجاءوا يعيدون إقراءها تلامذتهم، فما كانوا يزيدون عليها، أو يزنون ما جدَّ في عصرهم بميزانها^(٢).

(١) دمشق.. ص ١٢٤.

(٢) ذكريات علي الطنطاوي، ٢ / ٣٥، ٣٦.

وأما المدارس النظامية في الشام، فقد كانت أصنافا ثلاثة:

المدارس الأهلية، والمدارس الأميرية الحكومية، والمدارس النصرانية.

أما المدارس النصرانية فقد فتحت لأهلها، ولم يكن لأبناء المسلمين مكان فيها، ولكنها امتلأت بعد ذلك على مر السنين بأبناء المسلمين بحجة تعلم اللغة الأجنبية.

وهذه الحجة الواهية التي لا تثبت للنظر والتمحيص، قد جرت على المسلمين شرا كبيرا.

أما المدارس الأهلية فكانت هي الأقوم سبيلا والأكثر عددا... وكانت تحرص على تلقين الطلاب العلوم الإسلامية، وتعويدهم على أداء الواجبات، والبعد عن المحرمات، ولكنها كانت تسلك في التربية وفي أساليب التدريس أسوأ السبل^(١).

فكانت هناك طريقتان في التعليم تختلف كل واحدة منهما عن الأخرى في المناهج والأسلوب، ولكل منهما مزايا وعيوب، وقد كان علي الطنطاوي من أول من جمع بين الطريقتين في تعليمه، فنال مزايا الطريقتين!

لذلك يقول: «مشيت في دراستي من أول يوم في الطريقتين معا... طريقة المشايخ، وهي على الأسلوب الأزهري القديم، وطريقة المدارس

(١) ذكريات علي الطنطاوي، ٥ / ٢٥٦.

النظامية التي سلكتها من أدنى الابتدائية إلى أعلى الجامعة، وأخذت من الاثنتين خير ما وجدته فيهما، ولكن الذي كان أجدى علي وأنفع لي منهما، أو هو في النفع مثلهما هو المطالعة»^(١).

أما الجانب الأدبي في دمشق: فقد كان مصابا بالركود والخمول، فهو أشبه ما يكون بالمعدوم. والحياة الأدبية في الشام كانت أحوج شيء إلى المداواة والعلاج؛ إذ كان في الشام حياة أدبية لها وجود، ولها آثار يستطيع الناقد أن يصفها وأن يتحدث عنها، وإن كان الشك في وجود هذه الحياة موجودا، حيث لا يستطيع الناقد أن يجزم بوجودها؛ لأنه لا يرى علامة من علامات الحياة في أدباء الشام وأدبها، كما لا يستطيع أن يجزم بنفيها؛ لأن في دمشق أدباء كبارا معروفين؛ ولأن دمشق - كما يعلم الناس جميعا - عاصمة من عواصم البيان العربي»^(٢).

ويرى الطنطاوي أن أهم أسباب الركود الأدبي في دمشق ضعف همّة الأدباء، بالإضافة إلى أسباب أخرى منها: عدم وجود مجلات أدبية سوى مجلة صغيرة اسمها (الطلیعة) ومع ذلك كان منحأها لا يرضاه كثير من الناس مع عدم عناية الجرائد اليومية بالأدب، فلا تجد له صفحات مخصصة ولا دائمة، مع قلة وجود الناشرين؛ لقلة إقبال القراء على شراء الكتب والمؤلفات، بالإضافة إلى عجز كثير من المدرسين عن أداء مهمة التثقيف الأدبي المطلوب، الذي يساعد على

(١) ذكريات علي الطنطاوي، ١/ ١٦٢.

(٢) فكر ومباحث - علي الطنطاوي، ص ١٦٥، ط ٣، دار المنارة - جدة ١٩٩٠ م.

اكتشاف المواهب الأدبية، وشحن هممها نحو التأليف والإبداع^(١).

وأضاف الطنطاوي إلى تلك الأسباب أسباباً أخرى لا تقل أهمية عنها فقال: «وإن من أظهر الأسباب في ركود الأدب في الشام في القرن الماضي وانقطاع سبيل التأليف: هو فقدان التشجيع، وذلك الاحتكار العلمي الذي قتل كثيراً من النفوس المستعدة للعلم، وخنق كثيراً من العبقريات المتهينة للظهور. فقد كان العلم في الشام مقصوراً يومئذ على بيوت معروفة لا يتعدها، ولا يجوز أن يتعدها...»^(٢).

ثم أيد هذا القول بأمثلة مما سمعه ورآه.

ويبدو مما سبق أن الطنطاوي كان يريد نشاطاً أدبياً واسع النطاق ومتعدد الألوان والأجناس، فالآثار الأدبية آنذاك تنحصر - كما قال - في فئتين من فنون الأدب هما: القصة التاريخية، والدراسة التحليلية. أما سائر فنون الأدب كالقصة التمثيلية، والأقصوصة، والصور الوصفية، والمذكرات الأدبية، والتأملات الفلسفية والشعرية، والدواوين القيمة، والخطب البليغة، وغيرها من فنون الأدب لا يكاد يوجد لأدباء دمشق فيها أثر يذكر..^(٣)

على أن هذه الصورة للحياة الأدبية في دمشق لم تدم قدامتها تلك، فقد كانت هناك أعمال أدبية ووثبات شعرية وفكرية نمت وترعرعت في ظل النهضة الحديثة.

(١) فكر ومباحث - ص ١٦٦ وما بعدها.

(٢) السابق ١٢٨.

(٣) فكر ومباحث - ص ١٦٦.

فإذا كان عهد الأتراك الاتحاديين عهداً مظلماً؛ حيث حاولوا جاهدين تترك اللغة العربية والقضاء على كل نهضة، فإنه لما زال حكمهم وقامت الثورة سنة ١٩١٦م انقشعت غمامة التخلف والركود، كما يوضحها قوله: «... ملأ الأفق نور الفجر، ونشرت رسائل وكتب، وألقيت خطب ومحاضرات، وكان النادي العربي... وعرفنا لأول مرة أن في الدنيا أدبا عربيا، وشعرا عربيا، وخطباء يخطبون في غير المساجد... وممرت أيام ودفن الاستقلال الوليد في وادي ميسلون، ولكن النهضة بقيت عائشة، ولبثت تسير قدما حتى أثمرت «مجلة الرابطة الأدبية» التي صدر العدد الأول منها في أيلول ١٩٢١م»^(١).

كما قامت على إثر ذلك - أيضاً - نهضة المشايخ سنة ١٣٤٢هـ، التي كانت تهدف إلى إخراج الأولاد من المدارس الحكومية، ولا يتحقق ذلك إلا بفتح مدارس تغني عنها، فلذلك «أنشئت الجمعية الغراء»، وقد كانت أول الأمر بإشراف الشيخين اللذين قاما بهذه النهضة معا، وهما: الشيخ علي الدقر، والشيخ هاشم الخطيب^(٢).

فأنشأ عدداً من المدارس الأهلية، وقاما بوضع المناهج وجلب المدرسين لها، وأثمرت هذه المدارس خيراً كثيراً، وخرّجت علماء، وأحيا الله بها أرض حوران والبلقاء والأردن.

(١) من حديث النفس - علي الطنطاوي ص ١٢٧، ط ٢، دار المنارة - جدة ١٩٩٨م.

(٢) علي الدقر: عالم دمشقي بلغ منزلة عظيمة في قلوب الناس والعلماء (رجال من التاريخ - علي الطنطاوي ١/ ١٤٠)، هاشم بن أحمد عبد الواحد بن هاشم الأسدي، أبو طاهر الحلبي الخطيب ولي خطابة حلب (معجم الأعلام ص ٩٠٨).

وإن كان بها من المثالب ما جعلها قاصرة على كثير من المظهر وراء قليل من الجوهر، معنية بأمور من فروع الفروع، لا بتدعيم الأسس وتشبيث الأصول، كما أمر الشرع وصنع الرسول ﷺ^(١).

ولا ينسى في هذا الصدد دور «المجمع العلمي» وأثره في النهضة الثقافية، فهو أقدم المجامع العربية، أسسه الأستاذ (محمد كرد علي)^(٢) سنة ١٩٢٠ م، وبذل اسمه أيام الوحدة مع مصر فسمي مجمع اللغة العربية^(٣).

وقد كان هذا المجمع مصدر إشعاع ثقافي ينهل منه رواده من الخاصة وطلبة العلم.... وكان منبره مصدرا من مصادر الثقافة، ومدرسة من مدارس العلم.

وكان من أثر الحركة العلمية والثقافية لهذا المجمع - بجانب الأبحاث والمناقشات والخطب والمحاضرات - أن ساهم فريق من أعضائه في تعريب المصطلحات الطبية الأجنبية، وبذلك يكون قد أسدى المجمع العلمي إلى العربية خيرا كثيرا لم يستطع أحد إلى الآن على كثرة المؤسسات وعظم النفقات أن يقوم بمثله^(٤).

(١) ذكريات علي الطنطاوي ١/ ١٨٥ وما بعدها.

(٢) محمد كرد علي: رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق، ومؤسسه، وصاحب مجلة «المقتبس» والمؤلفات الكثيرة، وأحد كبار الكتاب (معجم الأعلام ص ٧٢١).

(٣) ذكريات علي الطنطاوي ٢/ ١٦.

(٤) ذكريات علي الطنطاوي ٢/ ٦٢، ٦٤.

ويؤخذ من هذا أنه كانت هناك حركة أدبية ونشاط ثقافي في سوريا، لكنه كان دون المستوى المنشود إذا قورن بالنشاط الأدبي والثقافي في مصر آنذاك، مما جعل الطنطاوي يصفه بالبطء والركود، وإن كان كثير من أدباء الشام وناشريها قد أسهموا مساهمة فاعلة في إذكاء الحركة الثقافية والأدبية في مصر وتنشيطها.

وما عرف منهم إلا قليل ممن عاشوا فيها، أو كتبوا في صفحتها أمثال محمد كرد علي، والمغربي، (ورفيق العظم)^(١). (ورشيد رضا)^(٢) و(شكيب أرسلان)^(٣)، (ومحب الدين الخطيب)^(٤) ثم خير الدين الزركلي، و(عادل زعيتري)^(٥)، و(إسعاف النشاشيبي)^(٦)، وصاحب جريدة الشورى (محمد علي الطاهر)^(٧).

(١) رفيق بك بن محمود بن خليل العظم، عالم باحث، من رجال النهضة السورية ١٢٨٤-١٣٤٣هـ. ١٨٦٧-١٩٢٥م (معجم الأعلام ٢٧٢).

(٢) محمد رشيد بن علي رضا، بغدادى الأصل، حسيني النسب، صاحب مجلة المنار، وأحد رجال الإصلاح الإسلامي، من الكتاب العلماء، ١٢٨٢-١٣٥٤هـ. ١٨٦٥-١٩٣٥م (معجم الأعلام ٧٠٧).

(٣) شكيب بن محمود بن يونس أرسلان من سلالة التنوخيين، ملوك الحيرة، عالم بالأدب والسياسة، نعت بأمر البيان، ١٢٨٦-١٣٦٦هـ. ١٨٦٩-١٩٤٦م (معجم الأعلام ٣٢٧).

(٤) محب الدين بن أبي الفتح محمد بن عبد القادر بن صالح الخطيب، من كبار الكتاب الإسلاميين ١٣٠٢-١٣٨٩هـ. ١٨٨٦-١٩٦٩م (معجم الأعلام ٦٥٢) وهو خال الشيخ علي الطنطاوي.

(٥) عادل بن عمر بن حسن زعيتري، حقوقي من أكابر المترجمين عن الفرنسية ١٣١٢-١٣٧٧هـ. ١٨٩٥-١٩٥٧م (معجم الأعلام ٣٧٥).

(٦) محمد إسعاف النشاشيبي، أبو الفضل، أديب باحث من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق ١٣٠٢-١٣٦٧هـ. ١٨٨٥-١٩٤٨م (معجم الأعلام ٦٧٨).

(٧) محمد بن علي الطاهر، صحفي فلسطيني ١٣١٢-١٣٩٤هـ. ١٨٩٤-١٩٧٤م (معجم الأعلام ٧٦٤).

كما كانت أكثر الصحف يملكها ناس من نصارى الشام، كالأهرام، والمقطم، والمقتطف، والهلال، حتى أنشأ الشيخ (علي يوسف) ^(١) جريدة «المؤيد» (ومصطفى كامل) ^(٢) جريدة «اللواء».

وكانت أكثر دور النشر لشاميين تمصروا، كدار الهلال، ودار الخانجي، والبابي الحلبي، اللتين نشرتا من المخطوطات ما يملأ مكتبة كاملة، ثم الشيخ (منير الدمشقي) ^(٣) وحسام الدين القدسي، وقبلهما دار المنار، والمطبعة السلفية لمحِب الدين الخطيب ^(٤)...

ولعل ما أغرى هؤلاء وغيرهم بالنزوح إلى مصر؛ دورها في تبني المواهب، «فهي كالميدان المنور من أحب أن يرى مكانه ذهب إليها أو نشر أثره فيها» ^(٥).

أما بالنسبة للإبداع الشعري فقد نبغ في دمشق في العصر الحديث كوكبة من الشعراء المجيدين كان لهم أثر في دفع الشعب السوري نحو التحرر والجهاد، ورفع معنوياته وبث الحماسة في قلبه بإحياء تراثه الإسلامي، وتذكيره بتاريخه وبطولاته وسير عظمائه.

(١) علي بن أحمد بن يوسف، كاتب من أكابر رجال الصحافة في الديار المصرية صاحب «المؤيد» ١٢٨٠ - ١٣٣١ هـ - ١٨٦٣ - ١٩١٣ م (معجم الأعلام ٨٦٩).

(٢) مصطفى كامل (باشا) بن علي محمد، نابغة مصر في عصره، وأحد مؤسسي النهضة الوطنية ١٢٩١ - ١٣٦٢ هـ - ١٨٧٤ - ١٩٠٨ م (معجم الأعلام ٨٤٢).

(٣) منير أبو محمد بن عبده أغا النقلي الدمشقي، صاحب دار الطباعة المنيرية، ت ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م (معجم الأعلام ٨٦٩).

(٤) ذكريات علي الطنطاوي ٢ / ٢٩.

(٥) ذكريات علي الطنطاوي ٢ / ٣٠، ٢٩.

ومن هذا يؤكد أحد الباحثين^(١) على دور هؤلاء الشعراء، وأثرهم في مجتمعهم السوري آنذاك، وتلبية لهم لحاجته انطلاقاً من اتجاه إسلامي شامل وأصيل بقوله: «... وهكذا كان الاتجاه الإسلامي في سورية بملامحه الأدبية ومناهجه الثقافية ومواكبته لقضايا التحرر في البلاد رائداً للكثير من الشعراء في سورية... حيث لبّى كثير من الشعراء المحدثين في سوريا نداء الإسلام، فعكسوا منه لوحات قد تنوعت تنوع الحياة، فاستلهموا السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، متاولين وقائع السيرة وما ضمت من شمائل النبي ﷺ والتجارب الإيمانية التي رادها، ومن ثم مستعرضين بطولات عظماء الإسلام وومضات من الحضارة الإسلامية.

ومع ذلك لم يغفلوا قضايا العصر، فلقد كانت لقضايا الحياة المعاصرة في ضوء الإسلام النصيب الأوفى من التناول الفني عند شعرائنا، فتغنوا بمعاني الوحدة في آفاقها الإسلامية داعين إلى ترجمة هذه الآفاق والمعاني إلى واقع ناهض حي^(٢).

وبعد: فهذه لمحات من الحياة الثقافية والأدبية في دمشق، عكست غلبة التوجه الإسلامي على هذا النشاط المتمثل في نهضة المشايخ، ومحاضرات المجمع العلمي، ودروس المسجد الأموي، ودروس المشايخ والعلماء، وبعض الصحف والمجلات، إلى جانب بعض المؤلفات والدواوين القليلة، والتي عملت بدورها على تنمية اتجاه علي الطنطاوي الإسلامي وثرائه وعمقه.

(١) محمد عادل الهاشمي في كتابه (أثر الإسلام في الشعر الحديث في سوريا).

(٢) أثر الإسلام في الشعر الحديث في سوريا. محمد عادل الهاشمي ص ٤٢، ٤٤، ط ١ دار المنار،

الأردن ١٩٨٦م.

الطنطاوي ومجتمعه الصغير

الطنطاوي في بيته:

نشأ الطنطاوي في جو علمي من أسرة علمية، فوالده الشيخ مصطفى الطنطاوي كان في الطبقة الأولى من فقهاء الشام، وكان يغشى بيته العلماء فيتحدثون ويتدارسون، فقاد هذا الجو، وما لمسه فيه من إجلال وتقدير لأبيه من تلامذته وزملائه إلى حب العلم ومطالعة الكتب التي كانت متوافرة في مكتبة أبيه الذي كان مولعا باقتنائها^(١).

الطنطاوي في دراسته وتلقيه:

كان أول تلقي الطنطاوي للدراسة النظامية بدخول المدرسة الابتدائية الأولى على العهد العثماني، فكان طالبا في المدرسة التجارية التي كان أبوه مديرا لها إلى سنة ١٩١٨م... ثم كانت الثانوية بمكتب عنبر «والذي نال منه البكالوريا (الثانوية العامة) سنة ١٩٢٨م... وبعد ذلك جاء إلى مصر ودخل دار العلوم العليا، ولكنه لم يتم السنة الأولى... حتى عاد إلى دمشق في السنة اللاحقة ١٩٢٩م،

(١) ذكريات علي الطنطاوي ١/١٦٠، ٢٧٠، صور وخواطر، ص ١٤٦.

فدرس الحقوق في جامعتها حتى نال الليسانس سنة ١٩٣٣ م^(١)... ومع هذه الدراسة النظامية التي أتاحت له الاطلاع على العلوم الحديثة، كان يقرأ على المشايخ ويتلقى منهم على الطريقة الأزهرية القديمة، حتى إنه عدّ من كبار العلماء الذين أخذ عنهم. في كتابه «تعريف عام بدين الإسلام» ما يزيد عن أربعين عالماً في شتى المعارف العربية والشرعية، ولو أسعفته الذاكرة لعد منهم ما يزيد على المائة...^(٢).

هوايته:

كانت هواية الطنطاوي الأولى المطالعة التي أكسبته ثقافة واسعة، حيث كان يقضي معظم أوقاته بين الكتب في القراءة والاطلاع حتى قال عن ذلك: «فأنا اليوم وأنا بالأمس كما كنت في الصغر أمضي يومي أكثره في الدار أقرأ، وربما مر علي يوم أقرأ فيه ثلاثمائة صفحة»^(٣).

من تأثر بهم الطنطاوي:

لقد ترددت في مقالات الطنطاوي أسماء كثيرة لرجال تركوا فيه أثراً. عرفانا بفضلهم، وتقديراً لجهدهم، من أبرزهم ثلاثة كانوا من مدرسيه في مكتب عنبر، وهم: «(الشيخ عبد الرحمن سلام)^(٤)،

(١) علي الطنطاوي أديب الفقهاء وفقهه الأدياء. مجاهد ديرانية ص ١٢، ١١ ط ١ دار القلم، دمشق ٢٠٠١ م.

(٢) تعريف عام بدين الإسلام. علي الطنطاوي هامش ص ٦، ٥ ط ٢ دار البشير، طنطا.

(٣) ذكريات علي الطنطاوي ١ / ١٦٢.

(٤) عبد الرحمن سلام بن جرجس الصفدي، أديب عالم باللغة، شاعر، من أعضاء المجمع العلمي

بدمشق ١٢٨٨ - ١٣٦٠ هـ ١٨٧١ - ١٩٤١ م. (معجم الأعلام ٣٩٥، ٣٩٦).

و(الشيخ عبد القادر المبارك)^(١) و(الأستاذ سليم الجندي)^(٢).

وكان من أبرز الذين اتصل بهم في الحياة العملية، ووجدنا لهم فيه أثرا بينا خاله الأستاذ محب الدين الخطيب «من خلال عمله معه في مجلتي الفتح، والزهراء»، و(الأستاذ أحمد حسن الزيات)^(٤) من خلال عمله معه في مجلة الرسالة^(٥)، و(الأستاذ معروف الأرناؤوط)^(٦) الذي عمل معه في جريدة فتى العرب^(٧)، وكذا (الأستاذ عارف النكدي)^(٨) الذي عمل في جريدة الأيام^(٩)، والشيخ صلاح الدين الزعيم الذي كان يعمل مراقبا للطلاب في الكلية الشرعية في بيروت التي كان الطنطاوي مدرسا بها سنة ١٩٣٧م^(١٠).

(١) عبد القادر بن محمد بن محمد المبارك الجزائري الدمشقي، أديب، غزير العلم بمفردات اللغة، جزائري الأصل، مؤلفه ووفاته في دمشق ١٣٠٤ - ١٣٦٤ هـ - ١٨٨٧ - ١٩٤٥ م (معجم الأعلام ٤٢٧).

(٢) محمد سليم بن محمد تقي الدين ابن مفتي المعرة، محمد سليم الجندي العباسي، شاعر، مدرّس، عالم بالأدب، له اشتغال بالتاريخ، من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٢٩٨ - ١٣٧٥ هـ - ١٨٨١ - ١٩٥٥ م (معجم الأعلام ٧٤١).

(٣) ذكريات علي الطنطاوي ١/ ١٥٤، من حديث النفس، علي الطنطاوي ١٢٨.

(٤) أحمد حسن الزيات، صاحب الرسالة، من كبار الكتاب ١٣٠٢ - ١٣٨٨ هـ - ١٨٨٥ - ١٩٦٨ م. (معجم الأعلام ٣٦).

(٥) ذكريات علي الطنطاوي ١/ ١٥٣.

(٦) معروف بن أحمد الأرناؤوط، كاتب صحفي، من أعضاء المجمع العلمي بدمشق ١٣١٠ - ١٣٦٧ هـ.

(٧) ١٨٩٣ - ١٩٤٨ م. (معجم الأعلام، ٨٥٢).

(٨) ذكريات علي الطنطاوي ٢/ ١٢، ٧٧.

(٩) عارف بن أمين سعيد النكدي، من رجال القضاء والإدارة ١٣٠٤ - ١٣٩٥ هـ - ١٨٨٧ - ١٩٥٧ م. (معجم الأعلام ٣٧٥).

(١٠) ذكريات علي الطنطاوي، ٢/ ١٢.

(١١) ذكريات علي الطنطاوي، ٤/ ٥١.

أعماله:

عاش الطنطاوي مدلاً في ظل أبيه، فلما ضاق بهم الحال بعد وفاة والده بدأ رحلته مع العمل والسعي والكسب، وكان عمره وقتئذ ست عشرة سنة، فكان عليه أن ينهض بأعباء أسرة فيها أم وخمسة من الإخوة والأخوات هو أكبرهم. فعمل محاسباً ثم اشتغل بالتجارة، ثم عمل مدرساً، ثم التحق بالقضاء فعمل قاضياً منذ سنة ١٩٤١م، وظل ينتقل بين محاكم دمشق حتى صار قاضياً الممتاز، والمدة التي قضاها الطنطاوي قاضياً عملياً من سنة ١٩٤١م حتى قدم إلى المملكة العربية السعودية معلماً في الكليات والمعاهد سنة ١٩٦٣م، أي نحو من ثلاث وعشرين سنة، ولكنه استمر قاضياً رسمياً حتى صدر قرار بتسريحه مع عدد من القضاة الذين لا يسايرون العهد الاشتراكي في الشام؛ وذلك سنة ١٩٦٦م، وكان في أثناء ذلك كله يعمل بالخطابة والكتابة في الصحف والمجلات والتأليف وتقديم البرامج المرئية والمسموعة^(١).

(١) ذكريات علي الطنطاوي ١ / ١٨٧، علي الطنطاوي أديب الفقهاء وفقه الأدباء ص ١٦، ٢٢.

صفات الطنطاوي:

للطنطاوي صفات كثيرة من أبرزها:

الانطواء وحب العزلة:

صفة سيطرت عليه وظلت ملازمة له، فهو منذ صغره تعود على الوحدة، فلم يلعب يوماً مع الأولاد، ولا زار أحداً من أقرانه، وإنما كان يعيش وحده يأنس بالكتاب ويتسلى بالقراءة...^(١) فحفظ ذلك عليه وقته، وبارك في عمله وجهده، حتى ترك لنا هذه الأعمال الكبيرة والآثار العظيمة، التي دلت على أنه مع وحدته، كان مهتماً بأمنته، وأعيان هدفه، محققاً لرسالته.

سهل العريكة يبغض التعصب:

كان الطنطاوي - كما وصفه الكثيرون - سهل العريكة، لا يتعصب لرأيه إن رأى الحق في جانب غيره، حتى لقد أعلن عن هذا في كثير من مقالاته، فكان بعد أي اقتراح أو فتوى تكون له فيها رؤية خاصة، يقول: «وشيء آخر رأي لي يبدو لكم إذا سمعتموه أول مرة غريباً، ففكروا فيه ولا تردوه بادي الرأي، ثم إذا رأيتموه بعد الفكر باطلاً، ورددتم عليّ بالدليل شكرت لكم ورجعت عن رأيي، وثقوا أن أهون شيء عليّ أن أرجع عن الخطأ إذا تبين لي»^(٢).

(١) ذكريات علي الطنطاوي ١ / ٢٧.

(٢) من نفعات الحرم. علي الطنطاوي ص ٥١، ط ٢، دار المنارة، جدة ١٩٩٧ م.

كما كان يكره التشدد والتعصب، فكان لذلك ينهج منهج الوسطية، وكان يرشد الشباب إلى الكتب التي تهدف إلى ذلك^(١).

ولأن علي الطنطاوي كان أديبا اجتماعيا وقاضيا شرعيا ردحا من الزمن، فقد وعى وأدرك ومارس الإسلام على أنه دين سماحة ويسر، وليس دين غضب أو تضيق على الناس^(٢).

الفكاهة والمرح:

مما عرف به الطنطاوي الفكاهة والمرح، ويلمس ذلك واضحا في بعض مؤلفاته، فكثيرا ما كان يسوق الطرفة التي تثير البهجة وترسم الابتسامة على الوجه، وكذا كان في مجالسه وأحاديثه المرئية والمسموعة، فقد كان يتخلل أحاديثه كثير من الطرائف والحكايات من التاريخ والمجتمع والفن والقضاء والأسفار والأدب...

«كان يقص الحكاية الطريفة فيضحك لها ببراءة الأطفال، وكان يسرد الحكاية الحزينة فيبكي لها بكاء الخاشعين... كان -رحمه الله- حاضر النكتة، سريع البديهة، قوي البنيان»^(٣).

(١) «جريدة الشعب» الشيخ علي الطنطاوي أديب الفقهاء وفتية الأدباء، د/يوسف القرضاوي، ص ١٣، عدد ٢/يوليو ١٩٩٩ م.

(٢) المجلة العربية «الطنطاوي في المكان الذي لا يشغله غيره» علي العمير، ص ٩٢، عدد ٢٦٧، السنة ٢٤، ربيع الآخر ١٤٢٠ هـ/أغسطس ١٩٩٩ م.

(٣) مجلة هاجر «السابقون إلى الدار الآخرة» أنور عبد المجيد الجبرتي، ص ١٧، عدد ٥٠، السنة العاشرة، ١٥ جمادى الأولى ١٤٢٠ هـ/أغسطس ١٩٩٩ م.

أحب الناس فيه طلاقة وجهه، والابتسامة التي لا تغيب عن محياه الجميل، وفكره العطوف الرحيم، البعيد عن التجهم والتعقيد^(١).

الثقة بالنفس:

كان الطنطاوي أبي النفس، يعتز بها ويثق فيها، ويقدر شأنها وطموحها، فكان لذلك يكثر من الحديث عنها بياناً لحقها، وتقديراً لجهدا وسعيها الذي يستحق التقدير والإشادة، لا فخراً ولا مناً، حتى صرح بهذا في قوله: «.. وكيف أني كنت من عشر سنين أقود طلاب دمشق كلهم، وأغامر بهم في ميادين السياسة، وأنني لو شئت لكنت نائباً من زمن طويل! إن الناس لم ينسوا ذلك، فكيف أنساه أنا؟! إنهم يعلمون أن في قميصي خطيباً ما يقوم له أحد في باب الارتجال والإثارة، وإيقاظ الهمم وصب الحمم، ولكن من الناس من يعقل الحسد ألسنتهم عن شهادة الحق. أستغفر الله. فما أحب الفخر ولكني اضطررت فقلت! وهل أسكت إذا سكت الناس عن بيان حقي؟!»^(٢).

لقد ثبت الطنطاوي على مبادئه وفكره، فلم تغيره المحن، ولم تغره المنح، حتى قال: «إن أول كتاب صغير لي كان سنة ١٣٤٨هـ ما قلته فيه هو الذي قلته في آخر كتاب أعيد طبعه لي سنة ١٤٠٦هـ وإن تبدل مني شيء فهو الأسلوب»^(٣).

(١) المجلة العربية «الطنطاوي في المكان الذي لا يشغله غيره» علي العمير، ص ٩٢، عدد ٢٦٧،

السنة ٢٤، ربيع الآخر ١٤٢٠هـ/ أغسطس ١٩٩٩م.

(٢) من حديث النفس، علي الطنطاوي ص ٩١.

(٣) ذكريات علي الطنطاوي ١/ ١٤٠.

الطموح والنشاط:

إذا اتفق للنفس الطموحة النشاط الواسع والسعي الدائم تحقق لها ما تريد جريا مع الأسباب على الأغلب.

وقد كان الطنطاوي طموحا نشيطا، فتحقق له ما أراد. يحدثنا عن طموحه فيقول: «طلبت المجد الأدبي، وسعيت له سعيه، وأذهبت له في المطالعة حدة بصري، وملأت له ساعات عمري.

وكنت أرجو أن أكون خطيبا يهز المنابر، وكاتبا يمشي بأثره البريد، وكنت أحسب ذلك غاية المنى وأقصى المطالب، فلما نلت أو نلت بعضه زهدت فيه...»^(١).

الجرأة والشجاعة:

من أبرز صفات الطنطاوي الجرأة في الحق، والشجاعة في مواجهة الباطل حتى سبب ذلك له كثيرا من المتاعب.

فكان في شبابه يقود المظاهرات، ويعلم الطلاب أناشيد البطولة لمقاومة الفرنسيين، ويعلمهم الإضراب عن الصفوف، والخروج إلى الشوارع، ورمي الحجارة على الجنود المتمركزين وراء الرشاشات وداخل المصفحات على مفارق الطرق^(٢).

(١) ذكريات علي الطنطاوي ٢/ ٢١١.

(٢) مجلة «فجر الإسلام» من مقالة مات رجل العصر علي الطنطاوي. زهير الشاويش ص ٢٢، عدد ٢١.

وكان صريحا يقول الحق كما يعتقده، لا يخاف لومة لائم، ولا نقمة ظالم. ومواقفه في ذلك كثيرة^(١).

الصدق والصراحة:

من أبرز صفات الطنطاوي الصدق والصراحة؛ لأن من كان جريئاً شجاعاً لا يكذب، وقد كان الكذب وإخلاف الوعد أبغض شيء عند الطنطاوي؛ لذلك كان يقول: «وأنا رجل متوحد منفرد لا أستطيع أن أوغل في مخالطة الناس؛ لأنني لا أكذب ولا أحتمل كذبا من أحد، ولا أخلف الوعد، ولا أصبر على إخلاف المواعيد»^(٢).

ويؤكد أحد أحفاده ذلك بقوله عنه: «وقد عرفته منذ وعيت قرابة أربعين عاما لا أكاد أذكره أبدا نكت وعدا، أو أخلف موعدا»^(٣).

ومما اتصف به الطنطاوي صدقه مع نفسه، والتزامه بفكره. أقر بمروءته ونخوته وفضله كل من عرفه، كما كان الطنطاوي سلفيا بطبعه وعمله، محاربا للبدع والتعصب والخرافة^(٤).

(١) جريدة الشعب «الشيخ علي الطنطاوي أديب الفقهاء وفقه الأدياء»، د/يوسف القرضاوي،

ص ١٣، عدد ٢/يوليو ١٩٩٩م.

(٢) ذكريات علي الطنطاوي ٦٨/٢.

(٣) علي الطنطاوي فقيه الأدياء... مجاهد ديرانية، ص ٢٤.

(٤) مجلة «فجر الإسلام» من مقالة مات رجل العصر علي الطنطاوي، زهير الشاويش، ص ٣٢

وقد بلغ به الوضوح والصراحة مع نفسه ما حكاه في كتابه «من حديث النفس» الذي كشف فيه عن خواطره بجرأة وصراحة بالغة^(١).

الرحمة ورقة القلب:

لقد كان الطنطاوي - رحمه الله تعالى - مع حدة مزاجه، وسرعة غضبه عطوفاً حنوناً، رقيق القلب؛ لذلك كان يسلك في تربية أطفاله وتوجيههم طرقاً عجيبة، أسهمت في بنائهم فكرياً وسلوكياً، بناءً إسلامياً قوياً على نحو ما ذكرته إحدى حفيداته في كتابها الرائع (هكذا ربانا جدي علي الطنطاوي).

والتي تقول: «ما رأيت والداً يحب بناته حب جدي لبناته، أو يرعاهن كما رعاهن، وما قابلت عاطفة أبوية كتلك التي يكنها لهن»^(٢).

هذا الحب الشديد لبناته دفعه إلى توجيه أحفاده إلى البر بأمهاتهم، وإقناعهم بوجوب طاعتهم وخاصة عندما يغضبون من توجيهاتهم المستمرة وتبليغاتهم الكثيرة تقول:

«... كان جدي يتعاطف بشدة معنا، فيسمعنا ويجتهد في فهمنا، ثم يؤكد أنه لو كان مكاننا لشعر نفس الشعور ولعانى نفس الألم؛ لأنه لا يرى إلا رغباته، ولا يشعر إلا بآلامه، فماذا لو نظرنا إلى القضية كما تراها أمهاتنا؟ إذا لتغير الأمر! وماذا لو علمنا حق أمهاتنا علينا؟ وكان لا

(١) عابدة المؤيد العظم، ط دار المنارة - جدة ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

(٢) هكذا ربانا جدي علي الطنطاوي. عابدة المؤيد العظم، ص ٦١.

يميل هذا الكلام، ولا يسأم من إعادته على مسامعنا وتذكيرنا به في كل حين وبكل أسلوب. فتارة يروي لنا الأحاديث الشريفة، وأخرى يقص علينا بأسلوبه الشيق بعض قصص الصحابة مع أمهاتهم، ويحذرننا غضب الله. إن عصينا. في الدنيا قبل الآخرة، ويرغبنا في ثواب الله. إن أطعنا. والأجر في الدنيا قبل الآخرة، فالبر يوفق الإنسان في كل عمل يقوم به، ويجعل دعاءه مستجابا وولده. من بعده. بارا...»^(١).

ولم يكن الطنطاوي ممن يكتفي بالقول دون الفعل، بل كان قدوة حية صادقة لبناته وأحفاده تزيد من افتناعهم به وامتنالهم لقوله، تقول حفيدته: «... وكانت لنا أسوة في جدي الذي ما ذكر أمه مرة إلا فاضت عيناه، حتى بعد مرور خمسين سنة على وفاتها، فكنت أخشى أن أفقد أُمي كما فقدتها هو، فأقضي عمري متحسرة نادمة على إغضاها، وذلك حملني على أن أسعى لأكون بارة بها البر الذي يرضيها عني ويرضي عني الله»^(٢).

وهذا درس تربوي آخر من دروس الطنطاوي تقصه علينا حفيدته، فتقول: «في أحد الاجتماعات العائلية وفي بيت كنا نتخذه لقضاء الصيفية.. كان يجتمع الأولاد.. الصبيان والبنات. وكان جدي يتخذ كل أسباب الترفيه المباح، ولكنه لا ينسى خلال ذلك توجيهنا من خلال ما يطرأ من أحوال.. وفي إحدى المرات أحضر ألواحاً من الشكولاته

(١) هكذا ربانا جدي علي الطنطاوي. عابدة المؤيد العظم، ص ٦٢، ٦٣.

(٢) السابق، ص ٦٤.

الكبيرة، وكان يأتي بها من لبنان، ثم قطعها وجاء يوزعها علينا بنفسه وأول من بدأ به أنا، فاسترعى انتباهي اختلاف الأحجام وبشكل كبير، فقطع كبيرة، وأخرى متوسطة، وغيرها صغيرة جدا! وهو من عادته العدل، فلماذا لم يعدل؟ وأنا أحب الشكولاه، وإذا تركت القطعة الكبيرة سيأخذها فلان، وأنا لا أريده أن يأخذها.. ثم يقضي الوقت وهو يعيرنا بأنه قد استأثر بها.. كما أنني أحبها وأريدها وما دام هو قطعها بهذا الشكل فإن عليه الوزر.. وعندما لمحته ينظر إلى جهة أخرى يبحث عن من يذهب إليه بعدي، اغتنمت الفرصة، وأخذت أكبر قطعة..

لكن لم تكن لتفوته تلك الفعلة فقد فعلها قصدا.. فمضى وهو ينظر إلي نظرة ذات مغزى، وهو يقول لي: لقد استأثرت لنفسك بأ أكبر قطعة.. وقد كانت هذه الكلمات تكفيني لكي لا أقضم منها أي قزمة، بل لقد استحييت وخجلت من تلك الفعلة، بل لقد عافت نفسي تلك الأكلة، وجريت إلى الشرفة أتوارى عن الناس وعن جدي بالذات، وأنا أتساءل: ماذا سيقول عني الآن..؟! أنا أنانية أفضل الذات! ولكني لم أكن كذلك، فلماذا فعلت ذلك أمامه؟ ليتني أخذت أصغر قطعة لكنت أكلتها بلذة، وجرت دموعي بكثرة. ثم فجأة فتح الباب ودخل جدي قائلاً: كنت أعلم بأنني سأجرك هنا، وكنت أعلم بأنك لن تأكلي القطعة، فأنا أعرفك تمام المعرفة، أنت حساسة وخجولة، وكانت تكفيك نظرة لتفهمي، وربما لو كان أحد غيرك لأكل القطعة تاركا الكلمات جانبا، فلذة القطعة الكبيرة أحسن، وقد يقول في نفسه: سوف ينسى جدي هذا الموقف بعد دقائق، أو حتى أيام، وما الضير في ذلك؟! أما أنت

فكما عرفتكَ مرهفة الإحساس تفهمين المراد من نظرة.. وكنت أشيح
بوجهي عنه في استحياء، لكنه اقترب قائلاً: كلميني فلقد علمتك
والجميع بأن نكون صريحين..

- نعم يا جدي أنا مخطئة باختياري أكبر قطعة، ولكنك أخطأت
أيضاً؟

- ويجيب: كيف؟

- لقد أخطأت بتقطيعك الشكولاه بهذه الطريقة، وكان عليك أن
تقطعها بشكل متساو..

- نعم أنت محقة يا ابنتي، ولكنني أردت أن أعلمكم درساً عندما
قطعتها بهذه الطريقة..

- وأتساءل: كيف؟

- فيقول: انظري من النافذة هنا على اليمين أترين هذا القصر؟

- أجيب باستغراب: نعم، أراه!

- فيكمل: هل عندك مثله؟

- أجيب: لا!

- ثم يدور إلى الناحية الأخرى قائلاً: أترين تلك الدور الصغيرة
المعمرة من الطين؟

- وباستغراب أسأل: ماذا تقصد يا جدي؟

- أقصد بأن الله لا يعطينا في الحياة كل شيء بقسمة متساوية، وهذا امتحان منه.. امتحان للغني هل ينفق على الفقراء؟ وهل يحمد الله؟ وامتحان للفقير هل يصبر على الفقر ويحمد الله؟..

هل الناس متساوون في الصحة؟ بعضهم أعمى، وبعضهم مشلول، وبعضهم لا يرزقون الأطفال و... لا يتساوون في الشكل، بعضهم جميل، وبعضهم قبيح،... وكثير كثير من هذه الأمور، كالذكاء، والامتحان بالبلاء وغيرها.. فالحياة ليس فيها قسمة متساوية، وربما يمر الزمان وتزوجين أنت وأخواتك، فتعيش واحدة في قصر مثل هذا، وتعيش الأخرى في بيت صغير مع رجل فقير، ولكن علينا ألا ننسى الآخرين! صدقا أنت لم تكوني يوما أنانية، وإلا لكنت الآن قد أكلت القطعة ونسيت القصة وذهبت تلعبين، ولما كنت كلمتك تلك الكلمات، ولكن لأنني عرفت فيك الطيبة.

ويقول: كلا، إنها نصيبك، وعليك أن تأكلها كلها وأنت تضحكين، ولا أريد أن يعرف أحد بهذه القصة!!

وفي المساء عندما حضرت كؤوس العصير كانت يدي تمتد إلى أفلها.. عندها نظر إلي جدي وضحكنا معا ضحكة هادئة.. وكان درسا لن أنساه، فمن يومها وأنا آخذ من الأشياء أفلها^(١).

(١) مجلة «الأدب الإسلامي» مؤلفات جدي ولكن بقلمه. أروى المؤيد العظم، ص ٥٦، ٥٧. العددان

وهكذا كان الطنطاوي - رحمه الله تعالى - في بيته عطوفا رقيقا، يربط أطفاله بالدين، ويوجههم إلى السلوك القويم بطرق عملية ووعظية تترسخ في الذهن، وتترك في النفس أثرا لا يزول، إيماننا منه بأن إصلاح المجتمع الكبير يبدأ بإصلاح البيت الصغير.

وهذه الصفات هي التي جعلت - بعد فضل الله - من علي الطنطاوي إنسانا محبوبا، وداعية مؤثرا، وكاتبا ناجحا، ومحاضرا بارعا، وناقدا مصلحا منصفا. وهي غاية ما تحتاجه الأمة فيمن يتصدى لنصحها وإصلاحها بالقلم واللسان، والأخلاق والسلوك.

آثاره ومؤلفاته:

ترك الطنطاوي لنا فيضا ضخما من المؤلفات والآثار، التي طالما كان يفخر بها وحق له ذلك.

وأكثر كتبه مقالات فيها من كل لون ينشده القارئ، معارف تاريخية ودينية وأدبية ووصفية...

فقد كتب - رحمه الله تعالى - في كثير من فنون الأدب مع الإجابة والإبداع؛ مما جعله يتبوأ مكانته بين كبار الأدباء في العصر الحديث.

وقد رتبت كتبه حسب تاريخ تأليفها، فكانت على النحو الآتي:

في عام (١٣٤٨هـ) ألف كتابين هما:

١. رسائل الإصلاح.

٢. بشار بن برد، نفدا ولم يعد طبعهما.
- في عام (١٣٤٩هـ) ألف كتابين هما:
٣. رسائل سيف الإسلام.
٤. الهيثميات، نفدا ولم يعد طبعهما.
- في عام (١٣٥٣هـ) ألف كتابا واحدا هو:
٥. عمر بن الخطاب (جزآن).
- في عام (١٣٥٤هـ) ألف كتابا واحدا هو:
٦. في التحليل الأدبي، نقد ولم يعد طبعه.
- في عام (١٣٥٥هـ) ألف كتابا واحدا هو:
٧. كتاب المحفوظات، نقد ولم يعد طبعه.
- في عام (١٣٥٨هـ) ألف كتابين هما:
٨. في بلاد العرب.
٩. من التاريخ الإسلامي، نفدا ولم يعد طبعهما.
- في عام (١٣٧٨هـ) ألف عدة كتب هي:
١٠. مقالات في كلمات.
١١. في سبيل الإصلاح.
١٢. دمشق...
- في عام (١٣٨٠هـ) ألف عدة كتب هي:

١٣. بغداد.. ذكريات ومشاهدات.

١٤. مع الناس.

١٥. فكر ومباحث.

١٦. صور من الشرق في إندونيسيا.

١٧. الجامع الأموي.

١٨. فصول إسلامية.

١٩. هتاف المجد.

٢٠. سلسلة حكايات من التاريخ.

في عام (١٣٩٨ هـ) علق وراجع كتاب صيد الخاطر.

في عام (١٣٩٩ هـ) ألف كتابا واحدا هو:

٢٢. سلسلة أعلام التاريخ.

في عام (١٤٠٠ هـ) ألف:

٢٣. من نفحات الحرم.

٢٤. قصص من الحياة.

في عام (١٤٠١ هـ) ألف كتابا واحدا هو:

٢٥. من حديث النفس.

في عام (١٤٠٢ هـ) ألف كتابا واحدا:

٢٦. صور وخواطر.

في عام (١٤٠٣هـ) ألف كتابين:

٢٧. أخبار عمر.

٢٨. قصص من التاريخ.

في عام (١٤٠٥هـ) بدأ ينشر ذكرياته:

٢٩. ذكريات علي الطنطاوي. في ثمانية أجزاء.

في عام (١٤٠٦هـ) صدر له:

٣٠. رجال من التاريخ.

٣١. أبو بكر الصديق.

٣٢. فتاوى الطنطاوي.

في عام (١٤٠٩هـ) صدر له:

٣٣. تعريف عام بدين الإسلام. وهو آخر مؤلفاته وأعظمها أثراً ونفعاً في الناس، وقد طبع أكثر من طبعة، وترجم إلى لغات عالمية عديدة^(١).

على أن أكثر هذه المؤلفات كانت عبارة عن مقالات سبق نشرها في مجلات وصحف قام هو بجمعها، فضم منها الأشباه والنظائر، وألف من كل زمرة منها كتاباً على نحو ما صنع كبار الأدباء.

(١) مجلة المنهل، قراءة في آثار الشيخ علي الطنطاوي - ص ٩٨، ٩٩، أحمد بن مسفر بن معجب

العتيبي، عدد ٦١، مجلد ٦ رجب ١٤٢٠ هـ / أكتوبر، ديسمبر ١٩٩٩ م.

وتجدر الإشارة إلى أن كثيراً من مقالات الطنطاوي مازالت متناثرة بين أوراق الصحف والمجلات في حاجة إلى جمع وتنسيق ونشر، يقوم ببعضه حالياً بعض أحفاده^(١). فجزاهم الله خيراً.

ولكل هذا الجهد الطيب كثيراً ما أشاد الطنطاوي بكثرة مؤلفاته وغزارة إنتاجه.

يقول: اقترح علي أحد المحبين أن أشعر المجموعة الكاملة لكل ما كتبت، فقلت: هيهات! لقد كتبت في جرائد ومجلات ما عندي منها نسخة واحدة.

وقد طبع لي الآن ما يقارب الأربعين كتاباً وأحسب أن الذي ضاع يملأ أربعين كتاباً! أما أحاديثي في الإذاعة والرائي فإنها لو جمعت لجاءت في خمسين كتاباً! ولكني لا أملك صوراً منها، وأكثرها ما كتبتها أصلاً. وأسأل الله أن يكتب لي بعض الثواب عليها^(٢).

وفاته:

عاش الطنطاوي حياة طويلة استمرت تسعين عاماً كانت حافلة بالجهد والعطاء حتى فاضت روحه. رحمه الله تعالى. بعد عشاء يوم الجمعة الثامن عشر من حزيران - يونيه - عام ١٩٩٩ م، ودفن في مكة في اليوم اللاحق بعدما صلي عليه في الحرم المكي الشريف^(٣).

(١) مجاهد ديرانية، راجع هامش ص ٢٢ من كتاب - علي الطنطاوي فقيه الأدباء..

(٢) ذكريات علي الطنطاوي ٢/ ٢٤٠.

(٣) علي الطنطاوي فقيه الأدباء... مجاهد ديرانية ص ٢٩.

المبحث الثاني

مفهوم الأدب الإسلامي

مفهوم الأدب الإسلامي:

قبل التعرف على مفهوم الأدب الإسلامي، وعلاقة الأدب بالدين يجدر أن نتعرف على الأدب والدين.

فالأدب له تعريفات عديدة تعرضت لها كتب الأدب والنقد.

وذلك لأن المفاهيم الأدبية فيها ما يجري في إطار الذوق والرؤية التي قد تختلف من أديب لآخر، ومنها ما يخضع للفكر أو ينبثق عنه، بخلاف المفاهيم العلمية التي قد تنضبط بالحس والتجربة.

ولعل أقرب تعريف للأدب وأشمله ما قيل: إنه التعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية.

فكلمة «تعبير» تصور طبيعة العمل ونوعه، و«تجربة شعورية» توضح مادة العمل وموضوعه، و«صورة موحية» تبين شرطه وغايته^(١).

(١) النقد الأدبي أصوله ومناهجه، سيد قطب، ص ٩، ط ٧، دار الشروق ١٩٩٢ م.

والدين منه ما هو صادر عن الله الواحد الخالق، ومنه ما هو صادر عن كيان أو كيانات مخلوقة، فالثاني منه دين الوثنيين، ودين الماركسيين، ودين الإباحيين، إلى غير ذلك مما يصدره من يريد الهيمنة على الناس، ويخضعهم لأهوائه سواء كان شاملاً أم محدوداً. أما الدين الصادر عن الله الواحد الخالق، فله تعريفات كثيرة منها ما قيل: إنه وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم إلى الصلاح في الدنيا والفرح في الآخرة.

فيطلق على ملة كل نبي بعثه الله تعالى إلى الناس، وهو يضاف إلى الله لصدوره عنه، وإلى النبي لظهوره منه، وإلى الأمة لتدينها به وانقيادها له^(١).

وهذه الملة تتضمن: «عقيدة شاملة لتنظيم الحياة وتفسيرها، وتلبية متوازنة لحاجات النفس البشرية، ومشعلا يضيء الطريق أمام الناس، ويبلغ بهم غايات السعادة والاستقرار، ووسيلة لتقويم العلاقات العامة والخاصة»^(٢).

وكل دين سماوي خالص من تدخل البشر يسمى: (الإسلام)، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٣).

(١) العقيدة الدينية وأهميتها في حياة الإنسان، د/ محمود حمدي زقزوق، ص ١٧، هدية «مجلة الأزهر» لشهر رجب ١٤١٥ هـ.

(٢) الإسلامية والمذاهب الأدبية، نجيب الكيلاني، ص ١١، ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٢ م.

(٣) سورة آل عمران من الآية: ١٩.

ولإطلاقه . تعالى . على جميع ديانات أنبيائه السابقين اسم (الإسلام) ، أو لوصفه هؤلاء الأنبياء بصفة الإسلام في مثل قوله تعالى في وصف طائفة من أنبيائه عليهم السلام: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَنْبِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(١).

وعلى هذا تكون كلمة الدين السماوي مرادفة لكلمة (الإسلام) ، فإذا أطلقت كلمة (دين) كان بينها وبين دين الإسلام (عموم وخصوص) توافق من وجه، وتعارض من وجه آخر. ومن هنا يكون علينا لتحديد المفاهيم أن نقرر أن بين «مصطلح الأدب الديني» و«مصطلح الأدب الإسلامي» اتصالاً من وجه وانفصالاً من وجه، والذي سوف نسير عليه في هذه الدراسة هو أن مصطلح الأدب الديني يعادل الأدب الإسلامي.

علاقة الأدب بالدين:

إن علاقة الدين . على إطلاقه . بالأدب علاقة تلازم فطري لا يتصور معها انفصال أحدهما عن الآخر ، ولا قيام أحدهما دون الآخر حتى في البيئات التي حاول أدباؤها ودارسوها التفتل من رابطة الدين ، وصور لهم الوهم كذلك أنهم قد نجحوا في محاولتهم ، فإن هؤلاء لم يلبثوا أن تبينوا . أو تبين للناقد المنصف . أن ذلك كان وهماً ، وأنهم تفتلوا من عقيدة ليسلموا أنفسهم إلى عقيدة أخرى...^(٢).

(١) سورة البقرة آية: ١٣٢.

(٢) مدخل إسلامي لدراسة الأدب العربي المعاصر. د/إبراهيم عوضين، ص ٨٢، ط ١ مطبعة

السعادة ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.

فالأديب حتما يصدر في إبداعه عن معتقد امتزج بنفسه مهما كان نوعه سواء شعر بذلك أم لم يشعر. ويبدو ذلك المعتقد جزءا أصيلا من مصادر أدبه مهما حاول إخفاءه.

نشأة الخصومة بين الأدب والدين في أوروبا:

أما من يتوهمون أن بين الأدب والدين خصومة، فقد سرى إليهم هذا الوهم عندما أطبق على أوروبا ليل حالك من القرن الخامس إلى العاشر الميلادي، وكان هذا الليل يزداد ظلاما وسوادا... لما وقع في الكنيسة من انحراف شائن، وذلك عندما احترفت الكهانة، واحتكرت المعرفة، وتسلطت بالقهر والإرهاب على العلماء والمبدعين، فشردتهم واضطهدتهم وقتلتهم، وأقامت لهم محاكم التفتيش، وصادرت حرية الرأي، وتبنت معارف ما أنزل الله بها من سلطان... كما نشأ عن النقد الكنسي في أوروبا وما أضفاه عليه رجال الكنيسة من زيف وتضليل في محاربة الأدباء الجادين- اصطناع الخصومة بين الأدب والدين، والذي يحاولون أن يقنعونا بها.

هذا النقد الفكري الاعتقادي في أوروبا إنما كان نقدا سخر فيه الناقدون بعض جوانب الدين ليقيسوا العمل الأدبي على ضوئها مستغلين في ذلك رؤيتهم الدينية القائمة على التعصب؛ فأدى هذا الموقف من رجال الدين إلى عدااء الأدباء والنقاد والمثقفين الأوروبيين، وظلت الخصومة تمتد والصراع يحتدم إلى أن انفصل العلم والأدب عن الدين ورجاله، وانفصلا في رحلة الحياة.

حتى قرّر في أذهان الكثيرين أن الخصومة بين الأدب والدين خصومة فطرية، وأنهما يمثلان اتجاهين متقابلين^(١).

لقد كانت تلك هي علاقة الأدب بالدين من المنظور الأوروبي في إيجاز.

أما عن علاقة الأدب بالدين في المنظور الإسلامي فتختلف اختلافاً بينا عن تلك النظرة السابقة له، لأجل الاختلاف بين طبيعة الدين الإسلامي والدين بالمفهوم الغربي، والظروف التي أحاطت بكل منهما.

فالدين عندنا شامل لكل جوانب الحياة، والإسلام ليس ديناً فقط يحدد صلة الإنسان بالله، بل هو دين وتشريع وقانون دولي وأخلاقي، وهو يحدد صلة الأفراد بعضهم ببعض، وصلة الأفراد بالدولة.

وهذا - طبعاً - يختلف عن الدين في المنظور الأوروبي الذي يرى أن الدين هو صلة الإنسان بربه فحسب، ومن هنا أوجدوا فاصلاً بين الدين.. والعلم والسياسة والأدب وأنشطة الحياة المختلفة... ومن هنا قالوا: الدين لله والوطن للجميع^(٢).

ويمتاز الإسلام عن غيره من الأديان باعتماده على كتاب ذي

(١) في النقد الأدبي الإسلامي. د/ إبراهيم عوضين، ص ٥٥ وما بعدها. مطبعة الشناوي ١٩٩٣ م.

قيم حضارية في القرآن الكريم، توفيق محمد سبع، ١/ ١٥، ط دار المنار، القاهرة. الغزو الثقافي يمتد في فراغنا، محمد الغزالي، ص ٢١، ط ٢ مؤسسة الشرق ١٩٨٥، عمان/ الأردن.

(٢) فصول إسلامية، علي الطنطاوي، ص ١٣، ٢٦٣، ط ٤ دار المنارة، جدة ١٩٩٠ م..

خصائص فنية وسمات بيانية معجزة، يقدم أفكارا وقيما يتوسل في الدعوة إليها بكل وسائل التأثير والإقناع التي من بينها الفن بكل ألوانه وأسبابه، وفي مقدمتها التعبير الفني بالكلمة^(١).

كما يمتاز بأنه لا يعرف تعبير (رجل دين) بالمعنى الشائع لدى الأوروبيين ومن هنا منحاهم، فكل متدين رجل دين، وليس لواحد هيمنة من أي لون على الآخرين باسم الدين.

ومما سبق تتضح طبيعة الاختلاف بين الدين الإسلامي والدين المسيحي بمفهومه الغربي والظروف التي تحيط بكل منهما.

وبناء على ذلك فالعلاقة بين الأدب والدين الإسلامي على وجه أقوى وأعمق وأوضح، وذلك يرجع إلى ما سبق، وإلى أن الدين الإسلامي فوق قيامه على العقيدة التي تتطلبها الفطرة، وتتوازن معها، يعتمد على كتاب ذي خصائص فنية وسمات بيانية معجزة.. تعد النموذج الأدبي الرائد للأديب الإسلامي^(٢).

أضف إلى ذلك أن الإسلام دعوة عالمية، والدعوة تكون غالبا باللسان والقلم، وقوام اللسان والقلم هو الأدب^(٣).

وبذلك يكون الأدب وسيلة إسلامية للدعوة إلى دين الله الخالص،

(١) مدخل إسلامي لدراسة الأدب العربي المعاصر، د/إبراهيم عوضين ص ٨٢.

(٢) السابق، د/إبراهيم عوضين، ص ٢٧، ٨٢، ٨٣.

(٣) ذكريات علي الطنطاوي ١٢٤/٨.

وإبراز قيمه ومقوماته في الصورة التي تكشف عن مدى ارتباطه بالفطرة الإنسانية ومدى حاجة الإنسان إليه^(١).

«ومن هنا يمكن القول: إن الحقيقة التي لاشك فيها أن علاقة الدين الإسلامي بالأدب أعمق من مجرد التقاء في الموضوعات، أو انعكاس في الأفكار، وإنما هما نوعان من أنواع النشاط الإنساني يلتقيان وإن اختلفا في نقطة مهمة هي مصدر كل منهما.

فالدين «الإسلام» متمثلاً في القرآن الكريم مصدره خارجي، وهو الحقيقة الإلهية المنزهة عن أي صفة أو تدخل بشري. وأما الأدب فمصدره مدد داخلي تظهر آثاره في صورة أعمال تخلد، ويبهر بها الآخرون أحياناً بدرجات متفاوتة حين تجمع إلى روعة البيان صدق الفكرة؛ لتكون قوية التأثير والتوجيه.

وفيما وراء هذه النقطة بين الإسلام والأدب من حيث المصدر لا يكاد اللقاء بينهما ينحصر في مجال شكل أو موضوع، فالذي لا شك فيه أن إسلامية الأدب تكون في شكله كما تكون في مضمونه، وأنها لا تظهر في مواقف الأديب الحيوي وتصوراته الفكرية ووعيه الكوني وتلون عاطفته ووجدانه فحسب، بل تتخلل نواحي الصياغة والتعبير في أدبه»^(٢).

(١) مدخل إسلامي لدراسة الأدب العربي المعاصر، د/إبراهيم عوضين، ص ٨٥.

(٢) نحو نظرية للأدب الإسلامي، د. محمد أحمد حمدون، ص ١٨ وما بعدها، ط ١، دار المنهل.

ولم لا.. والأدب والدين الإسلامي يشتركان في المادة، والغاية، والمقومات. فمادة الفن «الأدب» هي: الحياة والنفس الإنسانية، ومقوماته هي: الصدق والأصالة الفنية والمضامين السليمة.

ومادة الدين: هي الحياة والنفس الإنسانية، ومقومات الدين الصادق المنزل من عند الله هي: الصدق والأصالة والمثل العليا التي تتواءم مع واقع الحياة، وتتطور معها، وتشبعها بالسعادة والإخاء والعدالة والحرية...

وغاية الفن: الإمتاع والجمال والإفادة والتحريض على بناء مجتمع أفضل.

وغاية الدين: لا تخرج عن إسعاد البشرية واستمتاعها بحياتها، وسيطرة المثل الفاضلة.. والتهيؤ لعالم آخر.. عالم أفضل، والتنفير من المظالم والانحرافات، والعمل على هدمها^(١).

والإسلام يحب الجمال ويرغب فيه، ولكن ليس الجمال على إطلاقه، وإنما ينشد الجمال القائم على البناء والإبداع والتهديب، ويرفض الجمال القائم على الخداع والتمويه وإثارة الغرائز؛ لأنه حينذاك سيفقد غايته ويخرج عن الإطار الإسلامي القويم، فيصير وسيلة هدم وتدمير، لا وسيلة بناء وتعمير. وهذا ما يرفضه الإسلام من الفن وغيره، ولا يلتقي معه في شيء.

(١) الإسلامية والمذاهب الأدبية، نجيب الكيلاني، ص ١٢، ١٤.

وبرغم وضوح تلك العلاقة بين الأدب والدين الإسلامي بما لا يدع مجالاً للريب، نجد من يرفض هذه العلاقة، ويدعو إلى فصل الدين عن الأدب، بل عن أنشطة الحياة بعامّة.

ولا شك في أن من يقول بهذا يكون في حقيقته خاضعاً للرؤية الغربية، التي ظل الغرب يدعو إليها، حريصاً على تأكيدها وترسيخها في الأذهان بكل وسيلة، حتى تحقق لهم ما أرادوا؛ فانخدعت بتلك الرؤية بعض الأذهان، وسيطرت على كثير من العقول.

وذلك لأن الغرب الصليبي في رحلته الاستعمارية المسلحة أراد أن يصاحبها استعمار فكري آخر يعضد مواقفه، ويضمن بقاءه فيها، فكانت أهم وسائله الفكرية إلى ذلك الدعوة إلى فصل الدين عن الحياة، إذ علموا أنه لا سيطرة لهم على تلك الدول الإسلامية إلا إذا أبعادوا الدين عن المعركة، ذلك أن الدين هو الذي يشحن العزائم، ويحمل أتباعه على عجائب التضحية والفداء.

ومن هنا سعوا بتخطيط حثيث لإضعاف هذا الدين في النفوس، والتقليل من شأنه؛ لإقناعنا بتلك الفكرة ونشرها بيننا.

وكان من تلك المخططات الخبيثة أنهم لما رأوا أنه لا وجه للخلاف بين الأدب والإسلام، ولا وجه لإثارة الخصومة بين الأدباء ورجال الدين؛ لأنه ليس هناك رجال دين في ظل الإسلام على غرار رجال الدين المتسلطين في ظل المسيحية... عملوا على ابتكار ما ينشئ الخصومة بين الأدب والإسلام، مستأنسين في ذلك بما هو

مثار من خصومات في البيئة الأوروبية، فنقلوا قضية الأدب والحرية، والأدب والالتزام، وناصروا في البيئة الإسلامية الدعوة إلى ضرورة تحرر الأديب من كل قيد وعدم التزامه بأي شيء^(١).

وكان من أبرز ما واجهه الأدب في العصر الحديث في إطار الفصل بين الأدب والدين الدعوة إلى قرن الدين دائماً بالتخلف والجمود والرجعية، وإظهار المتدينين دائماً في صور المتخلفين الجامدين الرجعيين، تمهيداً لرفض كل قديم وكل ما يمت بصلة إلى القديم من عقيدة وفكر ولغة ومقاييس أدبية وأخلاقية تحت شعار العصرية والتحديث.

كما عملوا على ربط حاضر الأمة المتخلف بماضيها مصورين أو متصورين أن سبب التخلف عن ركب الحياة العصرية راجع إلى تمسكها بالدين وما يتصل به^(٢).

وعلى الطريقة نفسها رفعوا من قيمة العقل الذي تخلص به الأوروبيون من ظلام القرون الوسطى إلى نور العلم إلى تلك الحضارة ومنجزاتها الحديثة؛ ليخلصوا من ذلك إلى أن مثل هذا العقل جدير بأن يرسم للإنسان سبيله إلى الحياة الهنيئة السعيدة دون حاجة إلى رسل أو أنبياء يربطونهم بعالم الغيب وما يصدر عنه من شرائع وقوانين، بل إن بعضهم رأى أن يهتبل فرصة هذا الزلزال العنيف الذي أصاب

(١) مدخل إسلامي لدراسة الأدب العربي المعاصر، د/إبراهيم عوضين، ص ٦٤.

(٢) مدخل إسلامي لدراسة الأدب العربي المعاصر، د/إبراهيم عوضين، ص ٦٥.

الأمة العربية، ويستغل الموقف في التهوين من شأن المعجزة القرآنية في مجال البيان، دعما لمن نهضوا للتشكيك في القرآن الكريم ذاته، وقصدا إلى إبعاد المسلمين عنه، حتى ينفرط عقدهم تماما بعد أن تقرر لديهم أن القرآن الكريم هو المحور الذي يدور حوله المسلمون، وأنه هو الوثاق الذي يشدهم جميعا بعضهم إلى بعض في بناء محكم، تتكسر على صلابته وإحكامه كل محاولات الغزو، وتضيع هباء كل محاولات التفريق؛ لأنه يجمعهم دائما على كلمة سواء...!

كما بدا . كذلك . في محاربة اللغة العربية محاربة شرسة أخذت أشكالا مختلفة امتدت أكثر من مئة عام، تارة بالهجوم عليها والتقليل من شأنها، وأخرى بالهجوم على المتمسكين بها المدافعين عنها بهدف التخلص من هذه اللغة، وصرف الأمة عن الاجتماع عليها؛ لينفرط عقدها من ناحية؛ وليصبح القرآن الكريم غريبا عنهم، فتفصل الأمة عن دينها وتاريخها من ناحية أخرى.

ولخطورة تلك الدعوات وأمثالها . التي كان لا يجترئ أحد من أصحابها عن الإعلان المباشر عنها . كانت تثار متدثرة بشعارات براءة زائفة تخفي في طياتها الأغراض الدنيئة والسموم الناقعة؛ ليسهل ابتلاعها والإقبال عليها^(١).

ولذا تشرب بعض أبناء هذه الأمة تلك الدعوات، واستماتوا في اعتناقها والدفاع عنها، حتى أصبحوا يمثلون خطورة عظيمة لم تكن

(١) مدخل إسلامي لدراسة الأدب العربي المعاصر، د/إبراهيم عوضين، ص ٦٤-٦٧.

لسابقيهم، فهم من أبناء هذه الأمة ودعواتهم تتاح لها الفرص... لخلق أتباع لها يرثونها جيلا بعد جيل.

كما كان من أثر ذلك أن انصرف طائفة أخرى نحو النقل والأخذ عن الغرب في علومه المستحدثة وخاصة في الفنون... فكتبوا القصة الحديثة والشعر الحديث والمسرحية، وقلدوا عددا من المذاهب الأدبية وعددا من أعلام الأدب هناك.

والمعجب في الأمر أن أدباءنا قد اقتفوا آثار كتاب أوروبا في تجاهلهم للعامل الديني الإيجابي، بل جعلوا الدين شيئا والفن شيئا آخر، وفصلوا بينهما فصلا تاما... حتى نشأ لون جديد من الأدب يشبه في سماته سمات الأدب الأوروبي من إغراق في تصوير بشاعة رجال الدين أو سذاجتهم المفرطة، وأنهم أمثلة للشعوذة، وأنموذجا للسلبية المشينة، وأدب يفخر بالتحلل والانطلاق من إसार الدين ومثله وأخلاقياته، ويعدده صورة للتخلف والرجعية، وحربا على حرية الخلق والإبداع^(١).

ومع أن هذه الدعوات الغربية ظاهرة البطلان حتى في أوروبا نفسها التي عملت على نشر هذا الوهم وحرصت على ذيوعه واعتناقه، حتى في الوقت الذي كانت تتصاعد فيه الدعوة لفصل الدين عن الأدب في أوروبا كان هناك من كبار الأدباء والنقاد من يدعو إلى مزج القيم والدين بالأدب، وإدخال الدين في أنشطة الحياة^(٢).

(١) الإسلامية والمذاهب الأدبية، نجيب الكيلاني، ص ٢٢-٢٧.

(٢) نحو نظرية للأدب الإسلامي، د. محمد أحمد حمدون، ص ٢٢، وما بعدها. من هنا نعلم، محمد

الغزالي، ص ٥١، ط ٥. دار الكتب الإسلامية.

ولكن هناك طائفة من أدبائنا لا تسمع إلا إلى تلك الأصوات المنحرفة والدعوات الباطلة والمذاهب الفاسدة المتناقضة وتدعو إليها، لذا وقع كثير من الأدباء في أسر تلك المذاهب الغريبة، وأصبح يخوض في بحار الاتجاهات الأدبية التي تتلاطم على الساحة، والتي لا ثبات لها، ولا تتناسب مع أدبنا وطبيعته العربية الإسلامية، مما أدى إلى ضياع كثير من المواهب، ووآد نشاطها الإبداعي تحت بناء لا يفيد ومنهج لا ينفع.

بل إن منهم من أصبح يمثل خطرا حقيقيا بما يشيع في أدبه من تحلل وإباحية، أو شيوعية واشتراكية.

لكل ذلك كان لابد من قيام الأدباء الإسلاميين بالدعوة إلى اتجاه أدبي واضح السمات، مميز الخصائص والأهداف، يقوم على ثوابت تحميه من الذوبان والانمحاء، مع تناسبه مع قيمنا وديننا وطبيعة حياتنا، فكانت الدعوة إلى الأدب الإسلامي وقيام رابطته الأدبية العالمية تلبية لهذا الهدف.

المقصود بالأدب الإسلامي:

لعل أقرب تعريف للأدب الإسلامي في تصوري هو: أنه كل تعبير فني بالكلمة يصدر في إطار التصور الإسلامي للفن والحياة.

لذلك فإن من يرى تخصيص الإسلام بما بعث به محمد ﷺ فيقصر الأدب الإسلامي على ما يصدر عن أتباعه فحسب إنما يضيق

من نظرتة ويحجر على رحابته؛ إذ الإسلام الذي بعث به محمد ﷺ لا يختلف في شيء من أصوله وقيمه عن الإسلام الصحيح الذي بعث به سابقوه من الرسل والأنبياء، والإسلام الصحيح البعيد عن التحريف والأهواء هو الذي يتفق مع الفطرة الإنسانية السليمة، ومن ثم يرى بعض النقاد أن كل أدب يصدر عن الفطرة الإنسانية، فيتفق مع الإسلام في قيمه وخصائصه ومنهجه، فهو أدب إسلامي وإن صدر عن أديب غير مسلم!.



مظاهر الاتجاه الإسلامي في أدب علي الطنطاوي

«الدراسة الفنية»

ليتعرف الدارس على مظاهر التوجه الإسلامي أو غير الإسلامي في أدب ما، عليه أن يقف أولاً على المواطن التي يستطيع الناقد أن يبحث عن تلك المظاهر فيها، وقد أشار أستاذنا الدكتور/ إبراهيم عوضين إلى تلك المواطن في قوله:

«الناظر المتأن في العمل الأدبي المستكمل مقوماته الأساسية، يلاحظ أنه يتكون من مجموعة متجانسة ومتناسقة من العناصر الفنية - تنبض بها العبارات وتشف عنها - هي التي يتحقق بها العمل الأدبي في هيئته المتكاملة والتمازجة حتى يبدو بناءً فنياً متوازناً جميلاً، يخاطب في الإنسان السوي كل أبعاد الإنسان المكرم - من ماديّات وروحانيّات وعقليّات - على قدر متناسب متلائم، فيستقبله بعاطفته وشعوره، كما يستقبله بقلبه وعقله؛ ليجد القبول الشامل لديه، الذي يستحوذ على إعجابه ورضاه، دون أن يتملق فيه بعداً على حساب بعد»^(١).

(١) في النقد الأدبي الإسلامي، د/ إبراهيم عوضين، ص ١٨٢.

«وهذه المقومات - أو العناصر - يمكن إجمالها على وجه التقريب في أربعة عناصر هي - الموضوع، والصيغة، والوجدان، والخيال»^(١).

«وإنما كان هذا على وجه التقريب: لأن الموضوع يستتبع بالضرورة العناصر الثلاثة الآتية، لأن الموضوع الفني لا يتصور نشوؤه في نفس الأديب مجرداً أو معزولاً عن بقية العناصر «فلا يمكن أن يستقيم العمل الأدبي في إنسانيته إلا إذا كان مزيجاً من تلك العناصر جميعها»^(٢).

فالبحث عن التوجه الديني في أدب الطنطاوي يستلزم التعرف على توجهه الإسلامي في موضوعاته وأفكاره وأسلوبه ووجدانه، وخياله، في فنونه الأدبية المختلفة حتى تتضح الصورة، وتبين الحقيقة، وذلك - إن شاء الله - سيكون من خلال الفصول الآتية:

* الفصل الأول: مظاهر الاتجاه الإسلامي في موضوعات الطنطاوي وأفكاره.

* الفصل الثاني: مظاهر الاتجاه الإسلامي في أسلوب الطنطاوي.

* الفصل الثالث: مظاهر الاتجاه الإسلامي في وجدان الطنطاوي.

* الفصل الرابع: مظاهر الاتجاه الإسلامي في خيال الطنطاوي.

(١) السابق، ص ١٨٤.

(٢) السابق، ص ٢١٥.

الفصل الأول

مظاهر الاتجاه الإسلامي في موضوعات الطنطاوي وأفكاره

المقصود بمظاهر الاتجاه الإسلامي في موضوعات الطنطاوي
وأفكاره:

مفهوم مظاهر:

«ظهر الشيء: بالفتح ظهوراً: تبين، وأظهرت الشيء بينته»^(١).

والظهور: بدو الشيء الخفي»^(٢).

والمظهر: مكان الظهور»^(٣).

والظاهرة: هي كل واقعة يمكن إدراكها بالحواس والتجربة»^(٤).

(١) لسان العرب، ابن منظور ٥٢٧/٤.

(٢) السابق، ٥٢٧/٤.

(٣) المنجد في اللغة والأعلام، فوزي المعلوف ص ٤٨٢.

(٤) معجم مصطلحات الأدب، مجدي وهبة، ص ٤٠٠، مكتبة لبنان.

(الاتجاه) واتجه له رأي أي سنج، وهو افتعل، صارت الواو ياء لكسر ما قبلها، وأبدلت منها التاء وأدغمت.

ووجه النجم: ما بدا لك منه. ووجه إليه: ذهب. والاتجاه: الوجه الذي تقصده^(١).

وشيء موجه: إذا جعل على جهة واحدة لا يختلف^(٢).

وعلى هذا فإن المقصود بمظاهر الاتجاه الإسلامي في أدب الطنطاوي:

بيان الدلالات الموضحة لتوجه الطنطاوي ومساره الإسلامي في أدبه، وتلمس بواعثها فيه، وسيكون في هذا الفصل - إن شاء الله - من خلال أربعة مباحث:

المبحث الأول: موضوعات الطنطاوي وأفكاره في خطبه.

المبحث الثاني: موضوعات الطنطاوي وأفكاره في قصصه.

المبحث الثالث: موضوعات الطنطاوي وأفكاره في تراجمه.

المبحث الرابع: موضوعات الطنطاوي وأفكاره في مقالاته.

(١) لسان العرب لابن منظور ١٣/ ٥٥٦.

(٢) السابق، ١٣/ ٥٥٨.

المبحث الأول

موضوعات الطنطاوي وأفكاره في خطبه

ذكر أستاذنا الدكتور/ إبراهيم عوضين أن «الموضوع الأدبي ثمرة تلاقي قوي بين الإنسان مع ما يصادفه في جوانب الحياة الممتدة من أفكار، ومشاهد، ومواقف وأحداث»^(١).

وهذا يعني أن الموضوع الأدبي قد يكون واحداً، ولكن تناوله يختلف من أديب لأديب، حيث يتأثر الأديب في تناول الموضوع بتوجهاته الخاصة التي تلفته في الموضوع إلى ما يتناسب مع تلك التوجهات.

أي إن التوجه الإسلامي لا يقتصر على الموضوع الإسلامي فحسب، ولكنه يلزم الأديب مع كل الموضوعات، فعلى الناقد أن يكشف الأسرار التي تدفع كل أديب في رؤيته إلى موضوعه، ومدى تلاؤم موضوعه مع حالته، ثم مدى تلاؤم حالته مع ما يأخذ به نفسه من قيم، وما يستقر عليه من معتقدات، ثم تلاؤم هذا وذلك مع فطرة الإنسان فيه، ومصدر شذوذ الشاذ منها.. إلى آخر كل تلك النظرات الفاحصة الناقدة التي تنتهي بالكشف عن التلاؤم الفكري والوجداني مع الصياغة»^(٢).

(١) في النقد الأدبي الإسلامي، د/ إبراهيم عوضين، ص ٢٩٩.

(٢) السابق، ص ٢٠٢.

والناظر على ضوء ذلك - في موضوعات علي الطنطاوي الخطائية يلاحظ أن توجهه الإسلامي واضح تمام الوضوح فيما أثر من موضوعات خطبه، فحين جعل السياسة موضوع خطبته كان فيها مستجيباً لنزوعه الإسلامي في نقد الحاكم؛ إذ جعل معايير النقدية لمن يسوس البلاد هي القيم الإسلامية، فعاب عليهم العبث بحياة الناس بعيداً عن شرع الله، حتى شكّا صاحب الدين من انتشار المحرمات، وشكّا أصحاب الأموال بوار الأسواق، والنهب المعلن، والنصب الظاهر باسم التأميم، وشكّا المعلمون والآباء من هزال المناهج، وقلة العلم، وشكّا الموظفون والعمال من الغلاء الذي لم يعد يطاق، ونتج عن سوء الحكم اضطراب الناس إلى نبذ تلك الوحدة التي فرضت بين مصر وسوريا، على الرغم من أن الوحدة إحدى المقاصد الإسلامية، لما نشأ عن تلك الوحدة من إشاعة الاستبداد والظلم والفوضى.

ولم يكتف الشيخ الطنطاوي بتشخيص الداء، ولكن بحيوية المسلم انطلق ببسط وسائل العلاج وقواعد البناء.

وحين جعل دعوة الإسلام موضوعه وجدناه يستجيب لتوجهه الديني، فبين خصوصية هذه الدعوة في شمولها ووضوحها، وعرض لمزاياها وجوهرها وغايتها، وأسباب بقائها وصلاحياتها لكل الأزمان، وذلك تثبيتاً للمسلم على دينه في زمن طغيان المادية والمذاهب الغربية.

والشيخ في خطبته الوطنية «مساندة الجزائر» يستجيب. كذلك لتوجهه الإسلامي؛ إذ جعل محوراً مساندة هذا الشعب في مقاومة

المحتل الفرنسي، ناصرا بذلك المظلوم على الظالم، ومعتمدا على الإقناع العقلي، والاستجاشة العاطفية، فكشف عن طرق من التناقض في الحياة الفرنسية، وصور من القهر الذي تنزله بالجزائريين وغيرهم، مستنهضا الهمم لمقاومة هذا العدو الظالم.

وهو كذلك في اجتماعياته، حيث صرح بوجوب ارتكاز الإصلاح الاجتماعي على الدين، واستعرض بعض العيوب الاجتماعية، موضحا تعارضها مع الإسلام وخطرها على البناء الاجتماعي، على الرغم من تزيينها بزي الحضارة والتقدم.

وقد التزم الشيخ بذلك النهج في خطبته التأبينية، حيث يمدح في المتوفى خلقه وعلمه وتدينه.

- كما تتجلى في خطب الطنطاوي قيم أخلاقية واضحة، تتبع من ثقافة إسلامية واسعة، وإدراك واع لمقاصد الشريعة والعقيدة الإسلامية، أراد الطنطاوي من خلالها نقل الناس من مفاصد العادات وانحرافات الأخلاق والسلوك إلى مكارم الأخلاق وكريم الخصال.

فهو داعية يدرك دوره في تثقيف الناس وتصويب أخطائهم الفكرية والأخلاقية والسلوكية على أساس من الدين القيم ومنهجه المستقيم.

فتظهر القيم الخلقية في خطبته «دعوة الإسلام»^(١) من خلال حديثه عن الإسلام كدعوة تحمل مقومات البقاء والجمال والكمال.

(١) فصول إسلامية، ص ٩ وما بعدها.

بما لها من مصدر قوي ثابت لا تزلزله نوازل الزمان ولا عبث الإنسان؛ لأنها من رب العالمين الذي قال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(١).

وبما لها من منهج أخلاقي قويم، يضمن سلامة المجتمع من انحرافات الفكر ومزالق الهوى، فيسمو به إلى إنسانيته وفطرته بعيدا عن غرائز النفس وتسلط الهوى.

وبما لها من منهج تشريعي متكامل يشمل كل جوانب الحياة، ليكفل لها العدالة والأمن والاستقرار.

وفي خطبته التي ألقاها في تأييد الانفصال، بدت قيم إسلامية كثيرة أفاض في بيانها، كضرورة تغيير المنكر وإحلال المعروف محله، وضرورة قيام كل فرد بواجبه تجاه الآخرين؛ لتسد الثغور وتستقيم الحياة بتكامل الجهود وتكاتف القوى.

كما تبدو تلك القيم في ثورته على الأوضاع السيئة المخالفة للشرع من استبداد وسفه، وسوء تدبير، وعدم تقدير لعواقب الأمور.

وفي دعوته إلى وحدة المسلمين على أساس الدين الخالص، وفي التحذير من عاقبة العصيان، والتخويف من غضب الرحمن لمن تنكب الطريق وضل السبيل الواضح في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ.

(١) سورة الحجر، آية: ٩.

وكذا في خطبته «لمساندة الجزائر» اتضحت القيم الخلقية فيها من خلال دعوته إلى البذل والعطاء في سبيل الله، والتعاون على البر والتقوى، والتأكيد على حقوق الأخوة الإسلامية، ووحدة الكيان الإسلامي الذي يستوجب وحدة الشعور بين أبناء الأمة جهادا وسلما، سرورا وحزنا.

والدعوة إلى الولاء للمسلمين، والتبرؤ من أعدائهم أعداء الدين، وحث النفوس على الغيرة الإسلامية على الأرض والعرض والدم الإسلامي، الذي ينتهك حرمة الأعداء، الذين يجب تطهير البلاد من أرجاسهم بالبذل والتضحية والتعاون والتوحد.

وهذه كلها قيم إسلامية دعا إليها الإسلام وأكدها.

وتتمثل القيم الخلقية في خطبته «أسبوع التسليح» في الدعوة إلى التبرع والسخاء في سبيل الله؛ لتحقيق مهمة الأمن والقوة والإعداد الذي دعانا الله تعالى إليه بقوله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾^(١).

وفي التأكيد على أهمية الأخذ بالأسباب، واتخاذها وسيلة لتحقيق النتائج دون الاعتماد عليها، بل يكون الاعتماد على الله وحده؛ لأن الأسباب كلها بيديه، والنتائج وفق إرادته.

(١) سورة الأنفال، آية ٦٠.

وفي كشف مخططات الأعداء، وبيان ما يحاك للمسلمين في الخفاء؛ ليأخذوا حذرهم ويعدوا ما يجب أن يكون في مواجهتهم.

وأما عن خطبته في «التبرج والاختلاط» فقد دعا فيها إلى قيم أخلاقية تبني المجتمع وتضمن استقامته، تتمثل في حمل العلماء لمسؤولية الكلمة وتقديم النصيحة وتغيير المنكر الذي يفسد الحياة بأوضاره ويعكر صفوها بأوشابه.

ودعا إلى ضرورة العفة والحياء والتستر، اللاتي جعلهن الله من أسلحة الأمة ضد الشيطان والرديلة، فبهن تغلق أبواب الشر وتسد نوافذه وتدرأ مفاسده، امثالاً لأوامر الله تعالى وطاعته.

كما دعا إلى قيام الأب بمسؤوليته تجاه أسرته، والحفاظ عليها من خطورة التبرج والاختلاط اللذين حرهما الله تعالى.

وكذا في تنبيه الناس لما تتعرض له الأمة من غزو مدمر يأتيها من كل حذب وصوب من داخل الأمة الإسلامية على أيدي أبنائها من المستغربين، ومن خارجها على أيدي أعدائها من المستشرقين، حتى أصبحت الأمة الإسلامية في غربة حقيقية عن تعاليم الإسلام ومناهجه، فغدت بذلك لقمة سائغة ينتهبها الأعداء، ودمية في يد هؤلاء الذين تسلطوا على مواقع التوجيه والتعليم؛ ليتمكنوا لأولئك بما يبيثونه من سموم الفكر وخبيث الأخلاق والعادات التي تقصد الفطرة وتوهن العقيدة، مبيناً أنه لا خلاص للأمة من أيدي أولئك وهؤلاء إلا بفقهاء الدين، والدعوة إلى آدابه وأخلاقه ومبادئه والتمسك بها.

الفصل الأول : مظاهر الاتجاه الإسلامي في موضوعات الطنطاوي وأفكاره

«نراه وهو يعدد أسباب هوان الأمة وضعفها وهزيمتها، فتعرف فيه الخطيب الآسي الذي يعرف من أين أتيت الأمة، ويعرف دواءها، بل ويصف لها الدواء، وهو القيادة المتمسكة بكتاب الله والعودة إلى شرع الله الحنيف، والأخذ بأسباب القوة»^(١).

وفي خطبته «أستاذنا الجندي» نراه دعا فيها إلى قيم أخلاقية أكدها الدين، وبرزت من خلال حثه على تقدير العالم والمعلم، والقيام بحقه من الإجلال والتكريم، وحفظ عهده ومواصلة رسالته وجهده؛ بالإخلاص في العمل والحفاظ على قيم الإسلام وإحياء لغته ابتغاء مرضاة الله.

وهذه الأفكار بهذه المعالجة تعكس استجابة الطنطاوي للإسلام وقيمه التي لا تقبل تزييف الحقائق أو انحراف الرؤية، أو تعمية الجماهير.

كما تعكس موضوعاته في خطبه، امتلاء مشاعره بالحس الديني والفكر الإسلامي. كما توضح إيمانه العميق بأفكاره، مما أضفى عليها الصدق والقوة والإقناع، وأبعدها عن الخلط والاضطراب والسطحية والغموض.

(١) «الأدب الإسلامي» الشيخ علي الطنطاوي الخطيب الأديب، عبد الباسط أحمد، ص ٩٧، ٩٨،

المبحث الثاني

موضوعات الطنطاوي وأفكاره في قصصه

الذي يتأمل موضوعات الطنطاوي القصصية وأفكاره فيها يرى أنه اتخذ من القصة أداة ووعاء فنيا لتوصيل أفكاره وتدعيم اتجاهه، خاصة عندما رأى تبني كثير من كتاب القصة اتجاهات هدامة، تصور الرذائل وتشير الغرائز، وتدور في محور الجنس والخرافة التي تضعع بنيان المجتمع، وتهدم قيمه وأخلاقه؛ ولذلك كان الطنطاوي في قصصه التاريخية يصدر عن تصور إسلامي واضح، فنراه استلهم المنهج القرآني في عرض قصصه التاريخية، التي جاءت متنوعة الشخصيات متعددة المواقف؛ لتؤدي معاني إسلامية ثرية في صور فنية؛ ولتغرس في المتلقين هذه المعاني وتلك القيم الإسلامية بطريقة غير مباشرة من خلال الشخصيات وما تقوم به من مواقف وأحداث ركز فيها على المواقف التي تصور السماحة والعدالة والكرامة الإسلامية في أبهى صورها، والتي أضافت إلى الإسلام نصرا بعد نصر، وفتحا بعد فتح كما في قصة «بيت المقدس» و«هيلانه ولويس» و«قضية سمرقند».

ومنها ما عرض فيها للشخصية الطموحة التي تركب الأخطار وتغامر طلبا للرقى وبحثا عن إثبات النفس واستغلال مواهبها والاستفادة بطاقتها كما في قصة «هجرة معلم».

ومنها ما عرض فيها للشخصية الإسلامية حين تكون إيجابية منفعة بهموم أمتها، منشغلة بقضايا وطنها، فاعلة، تنتفض فيها الكرامة؛ ليحيي الله بها موتى القلوب، ويكون الإصلاح والتغيير كما في قصة «رجل وامرأة».

ومنها ما تناول فيها جرأة العالم وقوته المستمدة من الحق الذي يدعو إليه، ويتمسك به حتى تنقاد له الدنيا، ويخضع له أهلها كما في «قصة عالم».

وعلى هذا النهج نرى الطنطاوي في موضوعاته وأفكاره - بدافع من توجهه الإسلامي - يتمثل في قصصه من أحداث التاريخ ما يبرز العظمة ويرسم القدوة ويبني الثقة... متجنباً في ذلك أحداث الفتن والسقطات - التي تكدر صفاء النفس وتنال من ثقتهأ برجالنا - إلا بمقدار الإرشاد إلى علاجها والتحذير من الوقوع في مثلها.

١. من قصصه التاريخية:

أ. قضية سمرقند: تلك قصة عرضها الطنطاوي، وقد تجلّى فيها العدل في أبهى صورهِ، والطاعة لله ولرسوله ﷺ في أعظم مواقفها.

وقد قدم لنا الطنطاوي هذه القصة؛ ليرز لنا أثر العدل في إحياء النفوس، ودوره في نشر الإسلام واتساع رقعته؛ وليعرف الجيل الصاعد بروائع تاريخه الإسلامي الذي يجهله، وعظمة أجداده المسلمين الذين وجهت وتوجه إليهم سهام النقد والانتقاص من أعداء الإسلام

والمنخدعين بهم، بهدف ضرب القدوة وهدم المثل أمام الشباب بالتشكيك في كل ما هو إسلامي.

وقد اشتملت هذه القصة على قيم إسلامية عديدة تمثلت في وصف واقع أهل الوثنية البغيض؛ ليتضح الفرق بين ظلام أهل الشرك ونور أهل التوحيد.

وكشفت عن بغض أهل الكفر لأهل التوحيد وكيدهم لهم بشتى الوسائل. وحملت القصة دعوة المسلم إلى الرفق وسعة الصدر، ومعاونة الناس والسعي في هدايتهم إلى الخير، والأخذ بأيديهم إلى طريق الله، مع عدم الاستخفاف بأي عمل صالح أو جهد ضئيل في سبيل الله.

وتومئ القصة إلى الحكام وأصحاب المناصب بترسم خطأ أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في تواضعه ورفقه وزهده وإخلاصه، وعدله، حتى يكون لهم في قلوب الناس ما كان له من عز وإجلال وحب.. وما عند الله للمتقين أجل وأعظم بفضله ورحمته.

والقصة: تدعو إلى انصياع المسلم للحق ورضائه به ولو شق ذلك على نفسه، لإيمانه بأن الخير مع الحق أنى كان، وبأن الناس أمام القضاء سواء.

كما تدعو إلى إسراع المسلم في رجوعه عن خطئته، مهما بلغت منزلته وعلت مكانته حين يبدو له وجه الصواب.

ودلالة هذه القصة تتمثل في أن العدل يشفي النفوس ويبدد ظلام القلوب، ومن هنا كان هو السر الحقيقي في قوام الحياة وارتقاء الأمم وصدق الانتماء، ودخول الكثيرين في الإسلام.

بـ «تاج كسرى» في هذه القصة رأينا الطنطاوي مستجيباً لنزوعه الإسلامي في إبراز موقف من مواقف عظمة النبي ﷺ وتناول دليل من دلائل نبوته وصدق رسالته.

ومن يتأمل هذه القصة يرى أنها حملت قيماً كثيرة، وأكدت معاني إسلامية جليلة، فقد أظهرت أثر التحفيز بالجوائز والمكافآت في دفع النفوس لتحقيق الأهداف والوصول إلى أبعد الغايات. وبينت أثر التخويف والعقوبة في ردع النفوس وتبديد أطماعها والقضاء على شهواتها، ولأجل ذلك جعل الله الجنة والنار، والثواب والعقاب.

فسراقة حمله على ركوب الأخطار وقطع المفاوز، المكافأة التي رصدتها قریش حتى هان عليه التعب، وسهل عليه من أجلها النصب، فلما ساخت أقدام فرسه في الأرض تملكه الخوف وأزال من نفسه الطمع وخضع لأمر النبي ﷺ ورجع من حيث جاء.

كما أظهرت القصة شدة حب أبي بكر رضي الله عنه للنبي ﷺ وكمال يقينه بتأييد الله ونصره.

وأشارت إلى لجوء المسلم إلى ربه واعتماده عليه خاصة في وقت الشدائد.

ودلالة القصة صدق النبي ﷺ في كل ما جاء به، وأنه لا ينطق عن الهوى، وتهدف إلى زيادة اليقين في الله وقوة الإحساس بعظمة النبي ﷺ وأصحابه.

٢ - قصص الطنطاوي الاجتماعية:

تصدر قصص الطنطاوي ذات المحور الاجتماعي في أفكارها وموضوعاتها عن تصور إسلامي واضح، وتستهدف غاية إسلامية سامية، وتهتم في سبيل ذلك بإسلامية الوسيلة والمنهج؛ لذا نراه اتخذ من «المنهج الواقعي»^(١) مرجعا له يستمد منه موضوعه، بمعنى أن قصصه إما أن تكون عن واقع تاريخي صادق، أو عن واقع اجتماعي حدث أو يمكن حدوثه في الواقع.

ومع ذلك لم يأخذ الطنطاوي المنهج الواقعي على علاقته، بل طوعه للإسلام؛ حيث لم ينقل الواقع نقلا جافا دون أن يعمل عقله وخياله وموهبته الفنية في معالجته معالجة فنية، تبرز فيها الوجهة الإسلامية والقيمة الأخلاقية التي تؤكد بالطريقة العملية الحية أن الدين بمثله وقيمه وواقعه التاريخي هو الأصلح لإقامة حياة صالحة، وهو الأقدر على مساندة مستجدات الحياة والتغلب على عقباتها وتحدياتها.

ومن هنا فموضوعات الطنطاوي في قصصه هذه، تهدف بمحتواها، وتطرح في ثناياها أفكارا وقيما تسهم في حل مشكلات المجتمع ومعالجة أمراضه معالجة إسلامية سوية.

فهو حين عرض في بعضها لنماذج غير سوية جسد فيها مخاطر

(١) معنى الواقعية في علم الجمال: كل فن يحاول أن يمثل الأشياء بأقرب صورة لها في العالم الخارجي. والواقعية هنا بالطبيعة نسبية؛ لأن تمثيل الأشياء لا بد أن يتأثر بميول الفنان (معجم

مصطلحات الأدب، ص ٤٦٧).

الانحلال والتفسخ ومآسي الانحراف؛ لينفّر منها ويصدّ عنها، كخطر الرشوة، والسفور، والظلم، والاستسلام لهوى النفس، والتخلي عن الواجب، والاستسلام للأعداء.

وذلك كما في قصة «الكأس الأولى» و«طبق الأصل» و«اليتيمان» و«الخادمة» و«بنات العرب في إسرائيل»... إلخ.

وعرض في بعضها لنماذج إسلامية سوية تمثلت فيها الروح الإسلامية والقيم الإنسانية، فأحدثت إصلاحا، وأحرزت نجاحا، وتركت آثارا في حياة الناس، كما في قصة «ناظم باشا» و«جبل النار» و«شيخ في مرقص»... إلخ.

أ- قصة «بنات العرب في إسرائيل» التي يبدو توجه الطنطاوي الإسلامي فيها من خلال غيرته الإسلامية، وإشفاقه لمصاب المسلمين؛ حيث مثلت هذه القصة مهانة العرب، وجسدت واقعهم المرير المستذل؛ ليستحث فيهم الغيرة والبطولة الميته، من خلال عرضه لمعاناة فتيات العرب في إسرائيل، وما يتعرضن له من فقد الشرف واستغلال الجسد، إذ ليس هناك أشد من ضياع العرض وهتك الشرف، لتحريك نخوة العربي المسلم وتحفيز همته.

وقد تجلت في ثنايا القصة قيم ومحاذير إسلامية عديدة.

فرأينا المسلم الذي ينتصر على نفسه، ولا يستسلم لهواه حين يدرك أبعاد المأساة، أو يعي ما يستيقظ به حسه وضميره.

ورأينا البنت التي تدافع عن شرفها وتستमित في حفظ عرضها، فلما غلب على أمرها رأيها، وقد استحالت حياتها مرارة وبؤسا وجحima، تتمنى الخلاص منه كل لحظة ولا تستطيع.

ورأينا الأب الذي يبذل حياته في سبيل الدفاع عن أسرته، والحفاظ على عرضه وكرامته.

ورأينا قسوة اليهود ونذالتهم في أبشع صورها وأحط دركاتها، حين استباحوا دماء المسلمين وسلب أعراضهم، والمتاجرة بأجساد فتياتهم على سمعهم وبصرهم.

وما كان لهم ذلك وهم أذل الأمم وأجبنها - لولا تخاذلنا وجبننا وطمعنا في الحياة التي فقدناها يوم فقدنا الإيمان والغيرة وحب الشهادة في سبيل الله.

يقول: «لقد أراقت دم عفافها؛ لأن رجال قومها لم يريقوا دماء أجسادهم في سبيل الأرض وفي سبيل العرض، لقد خدروها بهذه الإبرة كما خدروا زعماء العرب بالوعود وبالخداع وبحطام من الدنيا قليل»^(١).

ب- وفي قصة «طبق الأصل» يلاحظ توجه الطنطاوي الإسلامي في موضوعها من خلال عرضه لقضية التبرج، وإبرازه لأثرها السيئ وعواقبها الوخيمة، التي تسببت في مقتل الفتاة وسجن أخيها

(١) قصص من الحياة، علي الطنطاوي، ص ٢٥.

وعذاب الأب بمصائبهما؛ ليعلم في النهاية أنه خدع بزائف المدنية، وخدر بأكاذيب التقدمية، وذلك حين أباح لفتاته التبرج وأقرها على التحرر السافر، فجنى بذلك أوزار بعده عن الإسلام وتخليه عن قيمه وأخلاقه التي تضمن للمتمسكين بها السعادة والنجاة.

وقد احتوت هذه القصة على قيم ومحاذير إسلامية عديدة، فأكدت على خطورة التبرج الذي يعرض الفتاة للخطر؛ إذ في التبرج إغراء بالرديلة ودعوة إليها وخروج على تعاليم الإسلام السامية وقيمه النبيلة. وأشارت إلى ضرورة التثبت من الأخبار، والتحذير من التقليد الأعمى، وخداع الكلمات. وبينت القصة أهمية التربية الإسلامية الملزمة في حماية الشباب من مزالق الشيطان، وانحرافات السلوك وسوء المصير.

وفي القصة تحذير من إطلاق النظر إلى المحرمات؛ إذ النظر إلى الحرام باب هلاك من ولجه لم يضمن النجاة منه.

وهكذا نرى توجه الطنطاوي الإسلامي واضحاً في قصصه التي استقاهها من المجتمع لمعالجة مشكلاته وعرض قضاياها «بعدما حدث في نفوس الجيل من شعور بالثورة على الأوضاع الاجتماعية القديمة والتقاليد البالية»^(١).

(١) الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، أ/ أنيس المقدسي، ص ٥٠٩، ط ١، دار العلم للملايين، بيروت.

٣- قصص الأطفال:

وتسير موضوعات الطنطاوي وأفكاره في قصصه التي قدمها للأطفال، في نفس الإطار الذي يصدر فيه عن تصوره الإسلامي، إذ كان من أهم أهدافه منها، ربط الأطفال بتاريخهم المجيد الممتلئ بالعبر والمثل التي تسهم في بناء النشء، وتربية نفسه تربية إسلامية تقوم على الاعتزاز بدينه وتاريخه العظيم^(١).

وقصد بها تنمية الشعور بالدين، وتقوية الالتزام بمنهجه القويم الذي يضمن للإنسان النجاح والسعادة في الحياتين، والتفكير من الخروج عليه، وبيان شقاء المخالفين له.

أ- في قصة «وزارة بعنقود عنب» نرى كاتبنا مستجيباً لتوجهه الديني الذي يرفع شأن القيمة، ويحث على الفضيلة من خلال قصة ذلك الوزير المتواضع، الذي كان طالباً، فجد في طلب العلم، حتى إذا نفذ ماله، بحث عن عمل، فلما لم يجد وعدم السبب لجأ إلى خالق الأسباب، فاستجاب له وفتح له الأبواب حتى نال الوزارة، وكان ذلك من الله جزاء له على صبره وبره وإخلاصه ووفائه وأمانته التي نطقت بها الأحداث وأعلنت عنها المواقف.

وقد اشتملت هذه القصة على قيم عديدة، وأكدت على أخلاق حميدة، من تمثلها نال رضوان الله، فسعد به في دنياه وأخراه.

(١) المجرم ومدير الشرطة، علي الطنطاوي، ص٧، ط٢، ١٩٩٧م، دار الفكر، دمشق.

فبينت أن التواضع يرفع صاحبه ويحببه إلى القلوب، وأشارت إلى ضرورة الإخلاص في طلب العلم، والدأب في تحصيله مع تعلم حرفة يتكسب منها المسلم قوته، ويصون بها عرضه وكرامته وعزة نفسه.

ودعت القصة إلى لجوء المسلم إلى ربه واعتماده على خالقه، فهو وحده القادر على تخليصه مما يقع فيه، وإنقاذه من مخاوفه.

والقصة معنية بطرح القيم الإسلامية والإشادة بها لحمل النفوس على حبها ودفعها إلى تقديسها، وذلك من خلال ما رسمته من نتائج عظيمة نالها ابن هبيرة بفضل استجابته لدينه، وصدوره عنه، في إخلاصه بتقديم العون لأخيه المحتاج وتلبية حاجته، وورعه في تحريره للحلال والحرام في مأكله ومكسبه، وأمانته في رد المال لصاحبه، وعفته عن أخذ شيء منه مع حاجته الشديدة إليه.

وبذلك نجح في الامتحان، ففتح الله له باب العمل بعدما أغلق عليه، حتى نال الوزارة، وكان الله كافأه بعفته عن الحرام الخبيث بأضعاف من الحلال الطيب.

وهكذا هدفت القصة إلى الحث على الفضيلة والإخلاص في عمل الخير.

... وكانت تجسيدا حيا لما قرره الإسلام، من أنجزاء من جنس العمل، وأن الله يجازي العباد على قدر نياتهم وصلاح أعمالهم.

قال الله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾^(١). وقال أيضاً: ﴿ يَتَأَيَّمُوا لِلَّهِ قُلُوبُهُمْ مَنْ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ ﴾^(٢).

ب - وفي قصة «التاجر والقائد»: نرى الطنطاوي مستجيباً لتوجهه الإسلامي في موضوعه؛ إذ جعل محوره يدور حول أهمية القصاص ودور معاقبة الجناة في إقامة الحق ونشر الأمان والعدل بين الناس، وذلك من خلال موقف الخليفة المعتضد، الذي كان سريع القضاء بالغ العقوبة حتى صار للضعيف وللمظلوم ركناً، فكان ذلك «القائد الكبير» يخاف ذلك الخياط المسكين، وما خافه هو! وإنما خاف الحق الذي يملكه، والسلطان الذي يرهبه، فأدى الحقوق على الفور، واستتب الأمن وساد الأمان، وانعدمت الشكاية. ولم لا، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾^(٣).

كما تضمنت القصة دعوة المسلم لإزالة المنكر، والتصدي له، ونبذ السلبية، ليجد على الخير أعوانا يرتفع بهم الإثم ويعلو بهم الحق.

(١) سورة الرحمن، آية ٦٠.

(٢) سورة الأنفال، من الآية ٧٠.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٧٩.

المبحث الثالث

موضوعات الطنطاوي وأفكاره في تراجمه

١. الموضوعات والأفكار في تراجم الطنطاوي

أ- ترجمة الطنطاوي الشخصية الذاتية أو ذكرياته

بداية يصعب الإحاطة بأفكار الطنطاوي وموضوعاته في ذكرياته، حيث إنه كان فيها موسوعيا مستطردا؛ ولذلك تداخلت الموضوعات وتزاحمت الأفكار على نحو من المرونة السلسة، وتداعي المعاني الجذاب.

ومع ذلك يلاحظ المتلقي لذكريات الطنطاوي بوجه عام استجابته لتوجهه الإسلامي ومنحاه الدعوي، وذلك من خلال ما قدمه فيها، مما يهتم به القارئ في التعرف عليه، وعلى مقومات شخصيته الأدبية والفكرية والأخلاقية، تلك الشخصية الإسلامية التي أدهشتنا بأسلوبها العذب وفكرها الإسلامي القويم.

ومن هنا حدثنا عن طفولته وبيئته، وما مر به من أحداث أثرت في توجهه وفكره، كما تكلم عن أسرته، وتعلمه ومدرسيه، وأصدقائه، ورحلاته وأسفاره، واطلاعه وأعماله، وكتاباته وأفكاره، في كل مرحلة من مراحل حياته.

فهذا أستاذه المبارك الذي يحدثنا عنه وعن أثره فيه بقوله:

«ولم يكن الشيخ يقتصر في درسه على الفقه، بل كان فيه مع الفقه تفسير وحديث وقواعد أصولية يسوقها بعبارات موجزة بليغة «يلقيها ويردها ويكتبها بخط الثلث على اللوح والسبورة بعرض الحوار (الطباشير)، وكان يتخذ لكل شيء ضابطاً، جملة موجزة تجمع الأحكام، وتسهل على اللسان، ولا تذهب من الأذهان. ولطالما دلنا على كتب، قرأتها وانتفعت بها، وهي رأس مالي في العلم والأدب، ولولاه ما سمعت بها»^(١).

فمن هذا الموضوع وأمثاله في ذكريات الطنطاوي يمكننا التعرف على مقومات شخصيته، وتكوين اتجاهه الأدبي والفكري وروافده.

كذلك تتضح وجهة الطنطاوي الإسلامية في ذكرياته من خلال موضوعاته التي عرض فيها إنجازاته، ومواقفه التي تغلب فيها على المصاعب في سبيل الحق والإصلاح؛ ليشجع الشباب على الثبات والإقدام، ويلفت الأنظار إلى قيمة الفضيلة وجمال القدوة.

كحديثه عن مواقفه في مواجهة الفرنسيين ومن والاهم، ومواقفه في الدفاع عن الفضيلة، وعن الأدب الهادف والملتزم، وثورته على جور الحكام وانحراف الأقلام التي تصور الرذيلة والانحلال، ومواقفه في إصلاح التعليم والقضاء، مما ينطق بشجاعته، ويعلن عن صراحته؛

(١) ذكريات علي الطنطاوي، ١ / ١١٩.

حيث كان لا يعرف في الحق مجاملة ولا مداراة، من ذلك موضوعه «في القضاء في دوما»:

والذي يعرض فيه لإصلاحاته.. ومواقفه الفاضلة في أيامه الأولى . بعد توليه القضاء في دوما سنة ١٣٦١ هـ . مع أصحاب النفوذ وطلاب الوسائط «المفتي» ومأمور الأوقاف، وأحد أعضاء المجلس النيابي، وهذا الرابع الذي أنقل ما كتبه عنه حيث قال:

«.. والعدو الرابع الذي كسبته في أيامي الأولى في دوما أحد أتباع الأمير فواز الشعلان، كان يتكلم باسمه، يراجع الدوائر ويقابل رؤساءها، يدافع عن قضايا جماعة الأمير من عشيرته «الرولة» (وهي فرع كبير من عنزة) وعنزة من بني أسد بن ربيعة، ومن عنزة أسرة آل سعود الكرام. دخل عليّ في دعوى أقيمت عليه، وقد خبروني بعد الجلسة أنهم يخشون الإدلاء بها، خوفا على أنفسهم.

فسألتهم: هل سبق أن شهد عليه أحد فقتله أو آذاه؟ قالوا: لا. فلما كان يوم المحاكمة تصورت عظمة الله، وعظم جزائه لمن يجترئ عليه، وكبير ثوابه لمن يدافع عن الحق الذي أمر به، وتوجهت إلى هذا الرجل - ونسيت اسمه - فحذرته عذاب الله، ونبهت في نفسه إيمانه، وقلت له كلاما لا أستطيع أن أعيده الآن: لأنني لم أكن أنا الذي يتكلم به، بل كان يتكلم به يومئذ على لساني ما اعتراني من الصلة بالله والاعتماد عليه، وما زلت في هذا حتى اغرورقت عيناه بالدمع، وقال أمام الناس وهم لا يكادون من دهشتهم يصدقون ما يسمعون، قال: نعم، والله له عندي حق، وأنا أستغفر الله، وحقه مضمون!.

فقلت له: بارك الله فيك، وأعظم ثوابك. وأثنت عليه وبينت له عظيم ما جاء به عند الناس، وعند الله! وكذلك يغلب الحق إذا عرفت كيف تدل عليه، وتنبه إليه، وتوقظ الإيمان في نفس المؤمن...»^(١).

ثم يبين نتائج هذه المواقف الحاسمة بالنسبة له؛ لتتضح منها الحقيقة في أذهان من ينشدون الحق، ويخشون في سلوكه أهل الباطل. فيقول:

«كثرت على السنة المنتقدين من الوجهاء ومن المتزعمين، وكان جمهور الناس يدعون لي، ولا يملكون عني دفاعاً، ولا يملكون لي نفعا، ولكن الله الذي أمر بأن ندافع عن المظلوم هو القادر على حمايتي: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾»^(٢).

فأضيت سنين طوالاً في «دوما» وأنا على هذه الوتيرة، وما لقيت يوماً من أحد سوءاً، والذين تحاملوا عليّ، ونظروا النظرة السوداء إليّ، عادوا فأثنوا عليّ لما رأوا بأنني لا مصلحة لي عند أحد، ولا أبتغي لنفسي نفعا، ولا أدفع عنها ضراً، ووفق الله، وخرجت من دوما ولا يزال ذكرى فيها بحمد الله عطراً طيباً.

ولا تلوموني إذا قلت ذلك عن نفسي، فإنما أقوله تشجيعاً لغيري في أن يسلك هذا المسلك مثلي»^(٣).

(١) ذكريات علي الطنطاوي، ٤/ ٢٠٣، ٢٠٤.

(٢) سورة الحج، آية ٣٨.

(٣) ذكريات علي الطنطاوي، ٤/ ٢٠٤.

فالطنطاوي -كما نرى- إسلامي في موضوعه، حيث عرض من خلاله نماذج واقعية، وضح فيها كيف يكون التعامل الإسلامي مع أصحاب الوساطة، والتصدي لاستغلال النفوذ الذي يتسبب في ضياع الحقوق، وإهدار الطاقات واختلال الأوضاع، ووضع الأمر في غير أهله، وإعطاء الشيء لغير مستحقه، مما ينذر بالخراب واشتعال الأحقاد، وتدني المستوى، بل وانهيار المجتمع وضعف أركانه.

وانتشار هذا الأمر وشيوعه يحتاج إلى وقفة حقيقية في القضاء عليه، وقدوة عملية أكثر من احتياجه إلى أقوال إنشائية وخطب وعظية؛ ليكون ذلك أجدى في النفوس وأعمق في الأثر، ومن هنا سوغ الطنطاوي أن يقدم لنا هذه المواقف عن نفسه، لا افتخارا كما قال، ولكن انتصارا للحق وإغراء به، وحثا عليه، وتعريفاً بعاقبته عند الله وعند الناس.

وهذا الموضوع مع سمو غايته في إحياء القدوة، وضرب المثل لمن يريد الإصلاح، حمل قيما عظيمة ومعاني سامية تدل على أن من أخلص لله أيده، ومن توكل على الله كفاه، وأن على المسلم ألا ينشغل بكيد الناس وسفهم مادام على الحق، الحق لا يرضي أهل الباطل، وقد سبَّ النبي ﷺ ورمي بالحجارة.. فما أثناه ذلك عن الحق الذي بعث به.

ودل على أن الخير كامن في نفوس الناس، وإنما يحتاج إلى من يوقظه وينبهه ويحركه بالوسيلة التي تناسب غير مبال بما يكون، إذ لا تؤتى الأمم إلا من قبل خوف علمائها، ومداهنة حكامها، وصمت عقلائها!.

كذلك يبرز توجه الطنطاوي الإسلامي في موضوعاته التي كشف بها عما يدور في عصره من أحداث تتشوق النفس لمعرفة، وتتطلع لرؤيته الإسلامية فيها، وهي كثيرة في ذكرياته:

كتلك التي تحدث فيها عن الأتراك الاتحاديين، والفرنسيين المحتلين، والوحدة والانفصال، واحتلال فلسطين، وحديثه عن إنشاء المجلات والجمعيات، ورأيه في الحضارة الغربية، والمذاهب الأدبية، والقومية العربية، والأدباء والمفكرين، والقادة والمصلحين، والأطباء والمحامين.

قال عن ظهور مجلة الرسالة في مصر: «كانت مصر في السنة التي أتكلم عنها ١٩٣٣م كالأرض العالية ينزل الماء منها إلى ما دونها، ولا يصعد مما تحتها إليها، فالمطبوعات في مصر (من كتب ومجلات) تقرأ في الشام (أي سورية ولبنان وفلسطين) وفي العراق، وفي جزيرة العرب. والمطبوعات في الشام تقرأ في العراق والجزيرة، ولكن قلما تقرأ أو تعرف في مصر، والمطبوعات في العراق لا تكاد «يؤمئذ» تصل إلى غيره. أما الجزيرة فلم تكن فيها مطبوعات تذكر. أما المغرب فقد قطع المستعمرون صلتنا به، فلا يصل إلينا شيء من مطبوعاته...»^(١).

وتكلم عن كتاب الرسالة، وعبر عن رأيه فيه، فقال: «وقرأت كل كتب «العقاد»^(٢) يؤمئذ، والمطالعات وساعات بين الكتب والديوان

(١) ذكريات علي الطنطاوي، ٢/ ٢٥، ٢٦.

(٢) عباس بن محمود بن إبراهيم بن مصطفى العقاد، ت ١٢٨٢ هـ / ١٩٦٤ م، إمام في الأدب، من المكثرين كتابة وتصنيفاً مع الإبداع، (معجم الأعلام ص ٢٨٢).

وغيرها، وكنت وأنا طالب أعجب بفكره وأستفيد من سعة اطلاعه، ولكن لا أطرب كثيراً لأسلوبه..»^(١).

ثم تكلم عن «المازني»^(٢) فقال: «على أنني أحببت المازني، وكنت أطرب لأسلوبه وفكاهته وسخريته، وتأثرت به حيناً، وحاولت تقليده، ولكن من أين لي خفة روحه؟ وإن كان يؤذيني منه تهاونه بأمر دينه وكلامه عن شرب الخمر كأنه يتكلم عن شرب الشاي! وسواء لدي أشربها أم كان على طريقة الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون. فالمهم عندي أثر ما يكتب الكاتب في نفوس القراء، وعليه أن يذكر أن الله سائله عنه!»^(٣).

فأمثال هذا الموضوع يعطينا ملامح واضحة لأهم أحداث عصر الطنطاوي ورؤيته لها، إذ كان للإسلام بمقاييسه ومعاييرته ثقله في رؤية الطنطاوي وأحكامه، كما تبين في حكمه على أدب المازني، ومنحاه.

ويبرز توجه الطنطاوي الإسلامي في موضوعات ذكرياته حين كان يقطع سيرها بموضوعات تحمل أفكاراً ورؤى يرى أنها أفيد للقارئ من ذكرياته؛ لأنها تبصره بما يصلح أمر دينه، ويفيد أمر دنياه. كموضوعاته:

(١) ذكريات علي الطنطاوي، ٢/ ٢٥، ٢٦.

(٢) إبراهيم بن محمد بن عبد القادر المازني، ت ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٩ م، أديب مجدد من كبار الكتاب (معجم الأعلام، ص ٢٣).

(٣) ذكريات علي الطنطاوي، ٢/ ٢٦.

ملاحظات عن المحاماة والمحامين، والقضاء والقضاة، وهجوم على الأطباء، ودفاع عن الأطباء، وخواطر في الموت والحياة، ووحى صورة، ووقف على المخيمات...

فموضوعه «هجوم على الأطباء» عرض فيه لأخطاء بعض الأطباء على سبيل التنبيه والنصح، ثم انتقل منه إلى الحديث عن الممرضات؛ مقدما النصح لإصلاح ما يقعن فيه من أخطاء وأخطار. فكان مما قال:

«وأنا أعلم أن قضية الممرضات مشكلة من المشكلات، وقد وقعنا فيها من قبل في الشام، فجربوا تجارب كثيرة منها: أنهم اتفقوا مرة مع الراهبات، وقد قضيت شهورا في مستشفى الحكومة في السنة التي أشرت إليها ١٩٥٦م، ورأيت هؤلاء الراهبات: أنهن متسترات لا يبدو منهن إلا الوجه والكفان فقط، ثيابهن نظيفة أبدا، وعملهن غالبا مضبوط، ولكن الضرر منهن أكبر مرات ومرات من النفع بهن؛ لأنهن لا ينسين دينهن، وأنهن داعيات إلى النصرانية، وأن عملهن الأول أن يدخلن المريضات في النصرانية، فإن لم يستطعن عملن على إخراجهن من الإسلام، فإن لم يقدرن على ذلك، سعين بمهارة شيطانية إلى إضعاف الإيمان في نفوسهن!».

فلا الممرضات المدنيات نفعننا، ولا الراهبات أفدننا، فما العمل

إذن؟

هذه مشكلة لا أستطيع أنا وحدي حلها، ولا بد لها من مؤتمر أو مؤتمرات، تفتش عن طريق يوصل إلى الغاية المطلوبة، ولا يمر بسالكه

على جهنم، ذلك لأن صحة الأبدان لا يجوز أن تكون وسيلة لإضاعة الأديان!. والمسلم يتقيد بأحكام دينه، يترك الحرام، ويقوم بالواجب في جميع الأمكنة والأزمنة في كل الحالات والمقامات. وأول ما يخطر على البال هذا السؤال:

لماذا لا يكون في مستشفيات الرجال، ويقوم على تريض الرجال، ممرضون من الرجال؟ من يقدر أن يأتيني بحجة مقنعة واضحة بأن الرجل لا يستطيع أن يكون ممرضا؟ وأنه لا بد من امرأة تكشف على عورات المرضى الأجانب، وتكون معهم؟ وربما كانت منابذة فباتت مع الطبيب المناوب، وحدهما بالمستشفى! التمريض ضروري، والمهنة لا بد منها، لكن بشرط أن نبقي متمسكين بأحكام ديننا، فلا نغضب ربنا لنشفي مرضانا، والشفاء من الله، والله لا يشفي بمعصيته بل يشفي بطاعته، وإذا زال المرض من الجسد مؤقتا في هذه الدنيا بالمعصية، فإن الحياة الحقيقية الطويلة هي الحياة الآخرة.

فماذا ينفعنا شفاء المرضى هنا، وأن نبثلى بمرض الحريق بنار جهنم؟

تقولون: لقد خرجت عن الموضوع! نعم، وإن هذه لم تعد ذكريات، وإنما صارت مواعظ...! نعم، هذا صحيح. ولكن من قال لكم: إن المواعظ مذمومة دائما، ولو توقفت عليها حياتنا وسعادتنا ورضا ربنا؟..»^(١).

(١) ذكريات علي الطنطاوي، ٤ / ٢٢٧، ٢٢٨.

وهكذا نرى الطنطاوي في موضوعاته تلك، لا يسرد الأحداث فحسب دون تحليل لها أو الإفادة منها، بل نراه يلفت الانتباه إلى ما فيها من مزايا أو عيوب عارضا العلاج الإسلامي، والحل الجذري الذي ينفي عن أفكاره وموضوعاته الجمود والجفاف، وينفي عن ذكرياته الموت والإهمال باعتبارها أثرا حيا، وتاريخا يتجدد.

ب - موضوعات الطنطاوي وأفكاره في تراجمه الذاتية الغيرية:

يتضح توجه الطنطاوي الإسلامي فيها من خلال جعل موضوعاته -في ذلك- عن عظماء التاريخ الإسلامي، وتقديمهم نماذج إسلامية مشرقة، تثير طرق التأهين في سراديب الحياة المادية، والمنخدعين بها؛ وليفت بها انتباه المسلمين إلى ما كان عليه أسلافهم من عزة ومجد وسلطان وعدل، لما كان منهجهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

والطنطاوي كما هو إسلامي في اختيار موضوعاته.. إسلامي في أفكاره التي تضمنتها تلك الموضوعات. ومن مظاهر ذلك اعتناؤه بإظهار القيم الإسلامية في شخصياته دون تزييد أو ادعاء بإثبات مصادره، وتركيزه على الجوانب الإنسانية والبطولية التي ترسم القدوة وتمجد الفضيلة، وتشي بمساوئ الواقع وأمراض العصر من خلال التاريخ. فيقول تحت عنوان «عمر مع أهله»:

يبدأ بأهله:

«كان عمر إذا نهى الناس عن شيء جمع أهله فقال: إني قد نهيت

الناس عن كذا وكذا، وإن الناس ينظرون إليكم كما ينظر الطير إلى اللحم، فإن وقعتم ووقعوا، وإن هبتم هابوا، وإنني والله لا أوتى برجل منكم وقع فيما نهيت عنه إلا ضاعفت له العذاب لمكانه مني، فمن شاء منكم فليتقدم ومن شاء فليتأخر.

يمنع عن أهله الهدايا:

أهدى أبو موسى الأشعري امرأة عمر عاتكة بنت زيد بن عمرو ابن نفيل طنفسة -سجادة صلاة- أراها تكون ذراعاً وشبراً، فدخل عليها عمر فرآها، فقال: أنى لك هذه؟ فقالت: أهداها لي أبو موسى الأشعري!.

فأخذها عمر فضرب بها رأسها، ثم قال: عليّ بأبي موسى الأشعري وأتعبوه. فأتى به قد أتعب وهو يقول: لا تعجل عليّ يا أمير المؤمنين!.

فقال عمر: ما يحملك على أن تهدي لنسائي؟

ثم أخذها عمر فضرب بها فوق رأسه وقال: خذها فلا حاجة لنا فيها.

صادر ربح ولده:

عن عبد الله بن عمر قال: اشتريت إبلاً وسقتها إلى الحمى، فلما سمنت قدمت بها، فدخل عمر السوق، فرأى إبلاً سماناً، فقال: لمن هذه؟

ف قيل: لعبد الله بن عمر. فجعل يقول: يا عبد الله: بخ بخ!!... ابن أمير المؤمنين! فجئته أسعى فقلت: ما لك يا أمير المؤمنين؟

قال: ما هذه الإبل؟

قلت: إبل أنضاء «هزيلة» اشتريتها، وبعثت بها إلى الحمى أبتغي ما يبتغي المسلمون.

فقال: ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين! اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين! يا عبد الله: خذ رأس مالك، واجعل الربح في بيت مال المسلمين»^(١).

فالطنطاوي هنا يعرض علينا صورة من صور الحاكم العادل مع أهله، إذ يبدأ بهم؛ لعلهم أن الناس يتطلعون إليهم، فإن وجدوا منهم خوفا ورهبة كانوا أشد انضباطا والتزاما.

ولم يكن عمر رضي الله عنه ممن يكتفي بالقول، بل كان عمليا، فتفقد أهله وتعقب ما وصلت إليه أيديهم، وزجرهم على ما كان مباحا لغيرهم؛ ورعا منه وحزما؛ لذلك خضعت الدنيا له، واستقامت في يده، فما كانت لفتنة أن تقوم أو ثغرة تفتح وهو حي!.

ونرى الطنطاوي في أفكاره مستجيبا لتوجهه الإسلامي بتجسيده المعاني الإسلامية في شخصياته بصورة قشبية، وأثواب جميلة تغري بها وتحث على نشرها واعتناقها.

(١) أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر، علي الطنطاوي، ناجي الطنطاوي، ص ٢٩١، ٢٩٢.

لذلك نراه ركز على صفات وأخلاق الأبطال والفاتحين، وسلوك العلماء والمجاهدين؛ ليحرك الرغبة في التشبه بهم والتمسك بأخلاقهم.

فهذا عمر رضي الله عنه «حين قدموا عليه بسيف كسرى ومنطقته وزبرجه، فقال: «إن أقواما أدوا هذا لذوو أمانة!».

فقال له علي رضي الله عنه: إنك عفت فعتت الرعية»^(١).

وكانه يريد أن يقول: كيف لهذه النفوس البشرية أن تخون أو تغل في شيء، وهي ترى العفة ناطقة في قائدها، ومتيقنة أن ما في يده راجع إليهم ومنفق في مصالحهم دون سفه أو تقريط.

ويقول: «وانظر إلى عمر في الموقف، الذي يطغى فيه أعدل الحكام وأشدهم ديمقراطية، ويزهو ويتعاضم، انظر إليه حين جاءه خبر فتح فارس، وظفره بكسرى، وامتلاكه بلاده حين أصبح هو إمبراطور فارس، وملك الشام والجزيرة، إنه بدلا من أن يشمخ بأنفه، ويصغر خده، ويمشي في موكب الظفر مشي قواد روما، صعد المنبر، فأعلن سياسته الشعبية، وأكد صلته بالرعية، وبين أنه خادم للشعب، يسد حاجته ما قدر عليها، فإذا عجز واسبى الشعب حتى يستويا في الكفاف. وأعلن أن الحاكم ليس مالكا لرقاب الناس، وليس الشعب عبداً له، ولكنه عبد لله، وأمين للشعب، فإن وفى الأمانة فقد فاز، وإن خانها خسر خسرانا مبينا.

(١) قصة حياة عمر، علي الطنطاوي، ص ٢٥، ٣٦.

ذلك هو موقف عمر، حين ربح المعركة الكبرى^(١).

فالطنطاوي هنا أبرز إخلاص الرعية لعمر رضي الله عنه بسبب عفاه وتواضعه، الناتجين عن فهمه الصحيح للإسلام وتطبيقه الصادق لتعاليمه.

ومن إبراز الطنطاوي للقيم وتمجيده لها، ما جاء في ترجمة أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها تحت عنوان «سيدة جليلة من سيدات المجتمع الإسلامي الأول» يقول:

«يا أيها السيدات اسمعن قصة هذه السيدة.

سيدة أبوها عظيم، وزوجها عظيم، وهي عظيمة في مواهبها، ومواقفها في نفسها وأعمالها.

سيدة ذات «مبدأ» وفَتْ له، وثبتت عليه. وسيدة شاركت في أجل الأحداث، في السلم وفي الحرب. سيدة كانت ربة بيت، صبرت على مره ولم تبطر بحلوه. سيدة كان لها من نبل القلب، وكبر العقل، وثبات الأعصاب، ما لم يكن مثله إلا للقليل من عظماء الرجال.

وفي قصتها بعد عبْرَة للنساء وأمل لمن ابتليت بالفقر من الزوجات، وإثبات لمن احتقر النساء أن المرأة قد تكون أنبل وأعقل من الرجال...»^(٢).

(١) السابق، ص ٣٦.

(٢) رجال من التاريخ، علي الطنطاوي، ١ / ٣٩.

ثم يورد بعد ذلك من أفعالها ما يؤكد صدق دعواه، ويبرز عظمتها في سلوكها وأخلاقها وصبرها، وقناعة نفسها. فيقول:

«يا سادتي! لما تزوج الزبير أسماء لم يكن له في الدنيا شيء، لا مال ولا عقار، ليس له إلا فرسه، فلم يكن عليها أن تصبر على الفقر فقط، ولا أن تروض نفسها على الحرمان، وتخدم زوجها وحده، بل كان عليها أن تخدم هذا الفرس. وصبرت على هذا كله، وكانت مطيعة لزوجها، حريصة على مرضاته.

رآها رسول الله مرة وهو على ناقته، وهي تحمل النوى، وهي أخت زوجته، وزوجة ابن عمته، فقال لناقته: إخ.. إخ!! ينيخها ليركبها معه. قالت: فذكرت غيرة الزبير، فأبيت.

أبت أن تركب مع الرسول، الطاهر المطهر المعصوم، خوف سخط زوجها، وما كان زوجها ليسخط، ولكنها المبالغة في مرضاته.

ولما أعطاهما أبوها خادما ترعى الفرس، رأت نفسها قد غدت ملكة.

يا أيتها القارئة! يا من لها زوج فقير، فهي تتألم للحرمان، وتكاد تذم القدر! اسمعي بقية الخبر.

إنها صبرت على هذا، فكانت العاقبة أنها اغتنت، وانصبت عليها وعلى زوجها النعم، حتى إنه لما مات كانت تركته..! من يحزر كم كانت

تركة الزبير؟ كم خلف زوج أسماء بعد جمعها النوى ودقه وصبرها على الفقر؟

خمس مائتين درهم ومائتي ألف فقط لا غير...»^(١).

فالطنطاوي من خلال هذا العرض البارع.. أراد أن يرسم المثل والقُدوة العملية للمرأة المسلمة من خلال السيدة أسماء بنت الصديق ﷺ في صبرها وتقواها واحتمالها مصاعب الحياة مع زوجها الفقير، وحرصها مع ذلك على مرضاته، امتثالاً لما أمر به الدين وطاعة لله رب العالمين.

ثم حاول بعد ذلك أن يبشر كل صابرة تقية من خلال عرضه لما آل إليه أمر أسماء - ببركة صبرها وطاعة زوجها - من غناها بعد فقرها، وعزها بعد شقائها، وراحتها بعد تعبها، قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ﴾^(٢).

وهذا هو شأن الحياة وقضاء الله فيها ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۚ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ﴾^(٣).

ولم يقف الطنطاوي عند هذا الحد، بل حاول أن يتلمس للمسلم المثل والقُدوة الحسنة من الزبير بن العوام - زوج أسماء ﷺ الذي كان طاهر اليد، شجاع القلب، سمح النفس. فيقول عن ثروته: «لم يجمعها

(١) السابق، ٤٣، ٤٤.

(٢) سورة الشرح، الآيتان: ٥، ٦.

(٣) سورة الطلاق، الآيتان: ٢، ٣.

من الحرام، ولا من أخذ أموال الناس، ولا لأنه قعد في المجلس فدرس ووعظ، وقال: أنا حوارى رسول الله، وابن عمته، فأعطوني! بل تاجر مثلما تاجر عبد الرحمن بن عوف والصحابه، وصار كما صار الكثيرون منهم من أصحاب الملايين.

وكذلك كان المسلمون، كانوا رجال دنيا ودين، مال وتقى، كانوا جنًا في النهار، ورهبانا في الليل.

وكان الزبير مع ذلك سمحاً كريماً، كان له هذا المال، وكان له ألف مملوك يشتغلون لحسابه، ولم تجب عليه زكاة؛ لأنه لم يكن يدخر شيئاً.

أما هذه السيدة الفاضلة فلم تخجل أولاً من فقر زوجها، ولم تبطر بغناه، وبقيت كما كانت، امرأة خير وبر وإحسان^(١).

وهكذا يتضح تركيز الطنطاوي على القدوة العملية، وإبراز دورها في استقامة الحياة، كما يفهم منه أيضاً تعريضه بالسلوك المنحرف ونقده لضجر الزوجات من أعباء الحياة وجزعهن من فقر الأزواج، وكذا طلب الرجال للمال من غير جهته الشرعية واختلال ميزان المسلم بين دينه ودنياه، وحرص الأغنياء وبخلهم.. وتواكل الفقراء وكسلهم.

كل هذه أمراض اجتماعية عرّض الطنطاوي بها، من خلال ضرب القدوة والمثل الإسلامي الحي في السيدة أسماء وزوجها الزبير رضي الله عنهما.

(١) رجال من التاريخ علي الطنطاوي ١ / ٤٤.

كما تظهر وجهة الطنطاوي الإسلامية قوية واضحة في تناول شخصياته، حين يبرز دور الإيمان في دفع الشخصية للإصلاح والتغيير وحملها على اختراق آفاق بعيدة في الجهاد والفتح، والعلم والحلم، والإنفاق والصبر...

فالإيمان هو وحده الذي دفع «العز بن عبد السلام»^(١) إلى إحياء حماسة المصريين، وجعله يوقظ الإيمان في قلوبهم؛ ليردوا هجوم التتار الذين اجتاحتهم ديار الإسلام من أقصى خراسان إلى أدنى الشام، ولم يبق أمامهم إلا مصر. وما كانوا ليردوهم بشيء غيره. يقول الطنطاوي:

«... وخرج الجيش المصري على أتم هيئة، وأكمل استعداد تتقدمه فرسان المماليك. ولئن كان المماليك حكام سوء، لقد كانوا- والحق يقال - أرباب حرب، وأبطال قتال.

وبلغ الجيش (بيسان) في رمضان سنة ثمان وخمسين وستمائة، وأراد أن ينحدر من أعالي الهضبة إلى (عين جالوت)، فوجد تحته السيل الذي جرف في طريقه كل شيء، من صحارى تركستان وأطراف الصين، إلى عين جالوت: جيش المغول والتتر، لما رأوا هاتيك الجموع، وذكروا كم اجتاحت في طريقها من جيوش كانت أجل وأعظم، فما صنعت مع هذه الجموع صنيعا، ولكن الشيخ قام يذكركم ما ضمن لهم

(١) عبد العزيز بن عبد السلام بن القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، عز الدين، الملقب بسلطان العلماء، فقيه شافعي، بلغ رتبة الاجتهاد، ولد ونشأ في دمشق (معجم الأعلام ص ٤١٩).

من النصر، استنجازا لوعد الله، واعتمادا على قوله: ﴿إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾^(١) فغلى الدم في العروق، وضربت الحماسة أقحاف الرؤوس، ونزل جيش مصر نزول الموت، يحث جنده الخيل يتسابقون إلى النصر والشهادة.

وكانت معركة خاف فيها الخوف، وذعر فيها الذعر، وانجلت عن... ظفر المصريين.

يا أيها السامعون! لقد انهزم التتر الذين دكوا في طريقهم كل قوة، واخترقوا كل جيش، انهزموا أمام الإيمان الذي أزكاه في النفوس هذا الشيخ الدمشقي...»^(٢).

وهكذا بدت وجهة الطنطاوي الإسلامية عميقة وقوية، حيث جعل الإيمان هو الذي انتصر في المعركة؛ لأنه هو الذي حول ضعف الجنود قوة، وخوفهم من الموت رغبة فيه، وزعزعة قلوبهم ثباتا، وتراجع نفوسهم إقداما، وهكذا يفعل الإيمان في القلوب ويصنع العجائب في الحياة.

ويبدو انتماء الطنطاوي الفكري للإسلام، واستمداده لقيمه منه في موضوعاته، كلما حاول أن يفيد من قضايا التاريخ بطرح ظلال الماضي لمعالجة ما يثار في الحاضر أو المستقبل.

(١) سورة محمد، الآية ٧.

(٢) شيخ من دمشق «رجال من التاريخ»، علي الطنطاوي، ٢ / ٨٥ - ٨٦.

ومن هنا رأيناه يطرح رأيه بوضوح في قضايا كانت مثارة -آنذاك- ولا تزال تطل برأسها بين الحين والآخر، كتعليم المرأة وعملها بالسياسة.. من خلال الواقع التاريخي للسيدة عائشة عليها السلام، وكذا سلطنة الهند^(١).

يقول عن السيدة عائشة عليها السلام «... وكانت عالمة؛ لأن العلم لا ينافي طبيعة المرأة، لم يمنعها كونها أنثى، من أن تكون فيه للذكور إماما.

ولكنها لما جاوزت حدها وخالفت طبيعتها، ودخلت غمار السياسة، التي يطالب بعض النساء اليوم بخوض غمارها، ولا أقول لكم ماذا صنعت، ولكن سلوا رحاب البصرة، كم حوى بطنها من جثث، سلوا الجمل المشؤوم، كم سال من جنابته من دم؟ سلوا تلك الأرواح فيم أزهقت؟ سلوا تلك الضحايا فيم ذهبت؟

أنا لا أتهم السيدة.. بأنها هي المسؤولة قضائيا عن هذه الأرواح، ومن أنا حتى أتهم أم المؤمنين؟ بل أقول: إنها باشتغالها بما لم يخلقها الله له، ولا يدعوها الإسلام إليه جرى هذا كله. ونحن حين نكره للمرأة السياسة، لا نريد أن نستأثر دونها بمتعها، ولا أن نتفرد بخيراتها، بل نريد أن ننزهها عن أوضاعها، ونبعدها عن نارها...»^(٢).

فهو كما نراه قد ألقى برأيه في ظلال الماضي والتاريخ فيما أثير من قضايا معاصرة؛ ليكون رأيه أوقع في النفس وأقنع لها.

كما تبدو وجهة الطنطاوي الإسلامية عندما يحاول أن يربط بين

(١) السابق، ج ١ ص ٢٢، ج ٢، ص ١١٨.

(٢) رجال من التاريخ، علي الطنطاوي، ص ٣٧.

المقدمات والنتائج، محلاً ومعللاً؛ ليكشف لنا الغموض الذي يكتنف بعض الشخصيات، أو الذي يفسر بعض المواقف.

فمن إبرازه للمواقف وتفسيره لها، هذا الخبر الذي حاول فيه أن يكشف عن السر في سماحة علمائنا الأوائل، وبركة أعمالهم وكثرة مؤلفاتهم من خلال دلالة هذا الموقف الذي حدث «لأسد بن الفرات»^(١) مع أستاذه الإمام «محمد تلميذ الإمام أبي حنيفة»^(٢) - رحمهم الله جميعاً. يقول:

«... وأما الإمام محمد فقد تصدر للتدريس وللبحث، وانتهت إليه رئاسة العلماء، حتى كان من تلاميذه الإمام الشافعي، أستاذ الإمام أحمد، فلزمه هذا الشاب المغربي «أسد بن الفرات» فكان يحضر دروسه العامة، ثم أحب أن يكون له درس خاص، يغرف فيه ما استطاع من علم الإمام محمد؛ ليحمله إلى بلده، درس خاص!»^(٣).

هذا الخبر قد يمر على المستمع أو القارئ دون أن يلتفت إلى بعده أو ينتبه إلى غرض المتكلم منه؛ لذا يقف الطنطاوي مع الخبر ثانية فيعرضه عرضاً واضحاً؛ مبرزاً عظمته ومفسراً طبيعته؛ لجعله أعمق أثراً وأبقى في نفس المتلقي.

(١) أسد بن الفرات بن سنان مؤيد بني سليم أبو عبد الله (١٤٢ - ٢١٣ هـ - ٧٥٩ - ٨٢٧ م)، قاضي القيروان وأحد القادة الفاتحين (معجم الأعلام، ص ٩٧).

(٢) محمد بن الحسن الشيباني من موالي بني شيبان أبو عبد الله (١٢١ - ١٨٩ هـ - ٧٤٨ - ٨٠٤ م، إمام في الفقه والأصول، وهو الذي نشر علم أبي حنيفة (معجم الأعلام، ص ٦٩٣).

(٣) رجال من التاريخ، ١ / ٦٥، ٦٦.

قال: «انتبهوا - أرجوكم - وتأملوا الموقف.

أستاذ كبير له آلاف التلاميذ، وتجيئه كل يوم عشرات المسائل ليفتي فيها، يقدم عليه شاب غريب مجهول، فيسأل أن يقطع له من وقته الثمين حصة خاصة به، وماذا ترونه يقول له؟ ماذا يصنع الأستاذ الكبير في إحدى جامعات الغرب اليوم، إن جاءه تلميذ شرقي، فطلب منه هذا الطلب، يطرده، أو يعتذر إليه بلطف، وإذا كان كريماً جداً أعطاه ساعة في الشهر، أو في الأسبوع.

أما الإمام محمد، فقد أخذ هذا الشاب المغربي إلى بيته، وأعطاه غرفة بجانب غرفته، وكان يسهر معه الليل، يضع أمام التلميذ قدح ماء، فإذا نعس نضح وجهه ليصحو.

وما طلب منه أجراً، ولا سأله مالاً، بل هو الذي كان يطعمه ويسقيه»^(١).

بهذا العرض الرائع.. اتضحت عظمة الموقف، وبدت صورته العجيبة في الأذهان، التي قلما نجد لها مثيلاً في عصرنا الحاضر حتى لنتساءل: ما السر في هذا؟.

ومن هنا يضع الطنطاوي تفسيراً شاملاً لهذا الموقف العظيم وأمثاله، ونتائجه وثماره في حياة أسلافنا الأوائل، وذلك بقوله:

«ذلك لأن العلم كان في رأي أسلافنا الأولين عبادة، وكان قرينة

(١) السابق، ج ١، ص ٦٦.

إلى الله، فالطالب يطلب العلم لله، لا للشهادة ولا للدنيا، والأستاذ يعلم العلم لله، لا للمرتب ولا للمنصب.

ومن ذلك أيها السادة - ظهر في تاريخنا أولئك الأئمة والأعلام، الذين كانوا منار الهدى، وكانوا أساتذة الأرض، وألفوا هذه المؤلفات الكبار التي لا نقدر نحن اليوم على قراءتها، فضلا عن نسخها، فضلا عن تأليف مثلها...»^(١).

وهكذا يتضح السرف في عظمة هؤلاء الأئمة ومواقفهم الخالدة، الذي لا يمكن أن يكون في غير ما ذكره الطنطاوي من سماحة نفوسهم، وعلو همتهم، وإخلاصهم لله وعملهم على مرضاته.

وأما عن ربطه النتائج بالأسباب، فمنها عرضه للأسباب التي أدت إلى ضياع الأندلس وانهيار آخر إمارة فيها؛ لتكون من ذلك العبرة التي تولد الوعي والحذر.

يقول: «... أتعرفون من أين جاءت هذه الإمارة التي كتب الله أن يكون ضياع الأندلس على أيديها؟ كانت دولة الموحدين تحكم البلاد كلها، والموحدون صحراويون أشداء، لم تكن الحضارة بترفها قد أفسدتهم يوم أقبلوا، ولا المدن بنعيمها، فكانوا ينامون بمثل عين الذئب، ويكشرون عن مثل أنياب الأسد، كانوا أسود قفر، فانجحرت منهم الذئاب وفرت من أمامهم.

(١) السابق، ٦٦/١، ٦٧.

فلما ذاقوا متع الحضارة، واستراحوا إلى النعيم صاروا طواويس، فاستأسدت من ضعفهم الثعالب.

وخرج عليهم (ابن هود)^(١) فاقتطع لنفسه ما استطاع من بلادهم، وخرج على ابن هود ابن الأحمر، فانتزع منه ما قدر عليه من بلاده، وكان الموحدون في الأصل خارجين على الإمامة العظمى، فكانت مملكة بني الأحمر هذه، مملكة خوارج على خوارج على خوارج!

ولم ينج ابن الأحمر من أمراء كانوا أصغر منه، فخرجوا عليه، يشترون منه ملكه برأس ماله، وكان يحميمهم الأسباب الذين كانوا يمدون أيديهم أبدا من وراء ستار، فيضرمون هذه النار، فلم يجد وسيلة لاستبقاء لذة الحكم، إلا أن يبيع نفسه للشيطان، ويخضع للأسبان، ويجعل من نفسه ملكا على المسلمين، وتابعا لأعدائهم، وكذلك يصنع حب السلطان!

وهذه مصيبتنا دائما الانقسام وشهوة الحكم!^(٢)

فالطنطاوي - كما نرى - عرض لأسباب الضعف التي دبت في دولة الموحدين حتى قضت عليها، وهي أسباب عامة، لا تدخل إلا من أبواب الهلاك التي يفتحها الحكام بأيديهم. باب الترف والنعيم الذي يؤدي إلى إثارة الراحة والركون إلى الكسل والخمول ولو كان في ذلك

(١) سليمان بن محمد بن هود بن عبد الله بن موسى مؤيد أبي حذيفة الجذامي، أبو أيوب، ت ٤٢٨هـ/

١٠٤٦م، مؤسس دولة آل هود من ملوك الطوائف في الأندلس (معجم الأعلام، ص ٢١٧).

(٢) رجال من التاريخ، ج ٢، ص ٤٩.

الذل والهوان وضياع كيان الأمة. وباب الخلاف والانقسام الذي يضعف القوي ويقتل الضعيف.

باب موالاة الأعداء والبقاء على مودتهم وإرضائهم، لتحقيق أطماع لا توجد إلا في الوهم والخيال.

وكل هذا مما حذرنا الله منه ونهانا عنه. فقال تعالى: ﴿فَكَأَيُّ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَبْرِ مِعْطَلَةٍ وَقَصْرِ مَشِيدٍ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَأَعَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾^(٣).

فجاءت هذه الترجمة لتحمل من العبرة ما يؤكد هذه المعاني، ويثبتها في الأذهان من خلال واقع تاريخي صادق، أحياء بأسلوبه وجسده بخياله.

وبهذا يتبين أن للتوجيه نحو التاريخ دوراً عظيماً في عملية التربية الإبداعية والفكرية والأخلاقية، هذا الدور يتمثل في أن التاريخ يعكس البيئة التي خرج فيها الإسلام ونهض، ويرصد هذا النهوض ومقوماته، ويقدم النماذج المشرقة التي كان الأدب الإسلامي في فترة من فترات

(١) سورة الحج: آية ٤٥.

(٢) سورة آل عمران من الآية ١٠٣.

(٣) سورة آل عمران من الآية ٧٣.

تطوره - منذ بدايات الدعوة إليه في القرن الماضي - يحتاج إليها؛ ليكون لديه رصيداً وجدانياً للأديب والمتلقي على السواء، ومنطلقاً نحو أدب إسلامي عميق الأصول^(١).

كما يتضح دور الطنطاوي الفاعل في تناول التاريخ باستلهامه عبره، واستخلاصه دروسه؛ منتهجاً في ذلك نهج المربي المخلص الذي يركز على ما يفيد به الحاضر، ويتطلع به إلى إصلاح المستقبل.

ومع أن هدف الطنطاوي في موضوعاته واضح، وفكره فيها متزن، إلا أن د/ عبد الله بن صالح المسعود، قد تعجب من إشادة الطنطاوي بالمعتزلة وإمامهم في معرض ترجمته للإمام أحمد ناصر السنة^(٢). وأخذ عليه ذلك، كما أخذ عليه تهاونه بالمسألة التي دارت حولها تلك الفتنة، وهي «خلق القرآن»^(٣).

وعند التأمل تتضح وجهة الطنطاوي في ذلك بما يبطل العجب؛ إذ إن الطنطاوي يقول الحق كما يعتقد، وهو سلفي لا يدعو إلى الاعتزال حين يشيد بمذهبهم، ولكنه يشير - بهذه الإشادة - إلى جهودهم في خدمة الإسلام في عهد أبرزت فيه سقطاتهم وغمط فضلهم، مع أن ظهور المعتزلة بمنحاهم العقلي - وقتئذ - كان ضرورة واكبت دخول

(١) الأدب الإسلامي «علي الطنطاوي بين الإبداع والتنظير» ياسر محمد غريب، ص ٨١، العددان (٢٥-٢٤) ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

(٢) رجال من التاريخ «ناصر السنة» علي الطنطاوي، ١ / ١٣٢.

(٣) الأدب الإسلامي «من سمات السيرة عند الشيخ علي الطنطاوي في كتابه (رجال من التاريخ)»، د/ عبد الله بن صالح المسعود، ص ٥١ العددان (٢٥-٢٤).

العجم والوثنيين والشعوبيين في الإسلام مع شبههم الكثيرة التي لم تنش إلا بالحجة والإقناع العقلي الذي برع فيه هؤلاء.

ويكفي في ذلك ما ذكره أبو القاسم البلخي المتوفى سنة ٢٩١هـ - ٩٣١م في كتابه مقالات الإسلاميين، حيث ذكر أبو الحسن بن فرزويه أن قوما من السمنية أتوا جهم بن صفوان، فقالوا له:

هل يخرج المعروف - يعنون المعرفة - عن المشاعر الخمسة؟

قال: لا.

قالوا: فإذا كان المعروف لا يخرج عن ذلك، وليس معبودك منها، فقد دخل في المجهول!.

فسكت جهم؛ لأنه يؤمن أن الله لا تدركه المشاعر الخمسة التي تقوم عليها المعرفة في اعتقادهم. ولكنه كتب بما حدث إلى واصل بن عطاء، فأجابه بقوله:

إن المعروف - يعني المعرفة - لا يخرج عن المشاعر الخمسة، وعن الدليل.. فارجع إليهم الآن، وقل لهم: هل تفرقون بين الحي والميت، وبين العاقل والمجنون؟ فإنهم يعترفون بذلك، وأنه يعرف بالدليل، لا بغيره!.

فلما رجع إليهم بذلك، قالوا له:

ليس هذا من كلامك، فمن أين لك؟

قال: كتبت به إلى رجل من العلماء بالبصرة يقال له: واصل، فخرجوا إليه، وكلموه، ثم أجابوه إلى الإسلام»^(١).

ومن ثم فإشادة الطنطاوي بالمعتزلة - خاصة - في هذا الموطن الذي يعرض فيه لزلتهم الكبرى مع الإمام أحمد رحمه الله يكون دفعا لما يوهمه الحديث من غمط لحقهم وإنكار لجهدهم في خدمة الإسلام لو خلا الكلام من ذلك؛ إذ إن ما في الشيء من عيب لا ينبغي أن يصرفنا عن الاعتراف بخيره، والانتفاع به، وهذا بلا شك اتجاه محمود.

أما عن قول الطنطاوي: «المسألة التي صارت مدار الخلاف، وهي مسألة لا تستحق هذه العناية وليست من أركان الدين، ولا أمرنا الله بها، ولا يسألنا يوم القيامة عنها وهي: هل القرآن مخلوق أم لا؟»^(٢).

فهذا الكلام نراه حقا في عصرنا - بعد موت الفتنة - إذ إن انشغال الذهن وتضييع العمر في الأخذ والرد بهذه المسائل المتصلة بالغيب مما قد يضر بالعقيدة.

وما أروع قول الطنطاوي! حين يوضح هذا الأمر بقوله: «وأنا أدعو إلى شيء جديد.. شيء هو أقرب إلى الحق، وهو أنفع لنا، هو أن ننقل الموضوع من جدال في صفات الله، إلى سلوك في الحياة يصل إلى رضاه، فبدلا من أن نبحث (بحثا غير منتج) في القرآن: هل هو مخلوق، أم غير مخلوق؟ نقول: إن القرآن أنزله الله لنعمل به، فلنعمل به، ونأتمر

(١) في النقد الأدبي الإسلامي، د/ إبراهيم عوضين، ص ٥٢، ٥٣.

(٢) رجال من التاريخ «ناصر السنة»، ص ١٢٢.

بأمره، ولنقف عند نهيه. وبدلاً من البحث في علم الله، وهل هو بذاته أم بصفة زائدة على الذات؟ نقول: إذا كان الله يعلم عنا كل شيء من سرنا وجهرنا، وانفرادنا واجتماعنا، فيجب أن نسلك في الحياة سلوكاً موافقاً لشرع ربنا، حتى يعلم عنا ما يرضيه علينا.

هذا هو الحق، وما مثل من يصنع هذا ومثل من يجادل في صفات الله، إلا كمثّل طلاب المدرسة، الذين يقال لهم: إنها ستأتي لجنة عليا من الوزارة تتولى هي امتحانكم، فالعاقل منهم يقول: إذا كانت هذه اللجنة ستتولى الامتحان، فينبغي أن أستعد وأدرس ولا أدع من المنهج المقرر شيئاً لا أحفظه، والأحمق يجادل في هذه اللجنة، كيف يكون امتحانها، هل تتولاه كلها أم أفراد منها، وهل عددها (شفع) أم (وتر) وهل تجيء بالسيارة أم بالطيارة؟ ولا يزال في هذا وشبهه حتى يأتي يوم الامتحان، وهو لم يعد له شيئاً.

إن الله لا يسألنا يوم القيامة عن شيء مما بنى عليه المتكلمون جدالهم، وأقاموا عليه مختلف مذاهبهم، وملؤوا به كتبهم. ولو كان ذلك من شروط الإيمان لبحث فيه رسول الله ﷺ وأصحابه...»^(١).

فهذا كلام جيد، ويؤكد ما أخرجه الدارقطني من حديث أبي ثعلبة الخشني مرفوعاً: «إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدوداً فلا تعتدوها، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها»^(٢).

(١) تعريف عام بدين الإسلام، علي الطنطاوي، ص ٨٠، ٨١.

(٢) قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ولهذا الحديث شاهد من حديث سلمان أخرجه الترمذي، وآخر من حديث ابن عباس أخرجه أبو داود، ج ١٢، ص ٢٨٠، ط المكتبة السلفية.

لكني أعتقد أنه لم يكن ليكفي هذا (يومئذ)؛ لأن الفتنة كانت مشتعلة، والشبهة قائمة، والقضية مثارة، ولا بد أن تفصل؛ لانشغال الأذهان بها، ولأن الناس ينتظرون، والطلاب سيكتبون، مما جعل الأمر مهماً، والكلام فيه واجبا، وكل هذا مما يبرز موقف الإمام أحمد ويضخم من إحساسه بالمسؤولية؛ لتأخذ المسألة تلك الأهمية، والتي لم ينكر أحد دور الإمام أحمد - رحمه الله - فيها.



المبحث الرابع

موضوعات الطنطاوي وأفكاره في مقالاته

الموضوعات والأفكار في مقالات الطنطاوي

المقال الديني:

يلاحظ في موضوعات الطنطاوي التي تناولها في مقالاته سيطرة الروح الإسلامية، ففي مقالاته التي تكلم فيها عن الإسلام نراه مستجيباً لرؤيته الإسلامية في تناوله له من منظور إسلامي خالص، باعتباره الدين الحق الذي أنزله الله لسعادة الناس جميعاً في كل زمان ومكان؛ حين يتمسكون به، ويستفيدون منه، ويهتدون بتعاليمه في كل شؤون الحياة.

ومن هنا لم ينحرف يوماً كالعلمانيين الذين يرون الدين قديماً بالياً، لا يصلح لمواكبة العصر، ولا لمعالجة شؤون الحياة، ولم يشذ كالشيوعيين الذين يرون الدين وهماً أو مخدراً للشعوب! بل كان دائماً وأبداً يجزم بصدق هذا الدين وحقيقته، ويبرز جدته، وشموليته وصلاحيته لقيادة العالم وتحقيق سعادته، وتخليصه من شقائه وأمراضه؛ ولذا نراه يتعجب من عدم قيامنا به، واستجابتنا له متسائلاً ومجيباً في حوار يغزو النفس، ويشعرنا بانفعاله، وعمق إيمانه، وإحساسه بعظمة الإسلام ومنهجه. يقول:

«أكان ذلك لأن الذي ندعو إليه باطل؟»

هذا محال؛ لأن الإسلام صيغ من جوهر الحق، لا من أعراض الأوهام.

أم كان لأن الإسلام بليت حقائقه، فلم تعد تقوى على مواجهة الخطوب في عصر تفجير الذرة، واقتحام الفضاء؟ كلا. فالإسلام كان جديداً لما جاء، وبقي جديداً لا يبلى ولا يقدم إلا في الأذهان التي تعجز أو تكسل، أو تزهد في كشف أسرار القرآن التي لا تنفذ على مر الزمان، ولا تزال أبداً يفيض نبعها لمن يعرف طريق الاستقاء منها، ولا يزال الذهن البشري يكشف في كل عصر من هذه الأسرار ما لم يكشفه السابقون.

لقد أظهر تقدم العلوم في أيامنا معاني آيات كانت في خفاء، وكان المفسرون يحاولون إدراكها فيحومون، ولا يصلون. ولا تزال في القرآن آيات فيها إشارات، وتلميحات لأسرار سنن الله في الوجود، وقوانين في الطبيعة لم يصعد العلم بعد إلى الذروة التي سيكشفها منها، وهذا من الأدلة على أن القرآن كتاب لم يخرج من فكر بشري؛ لأنه يستحيل على الإنسان مهما كان عبقرياً أن يشير إلى علوم لم تكن في أيامه، ولا بعد أيامه بألف سنة، من عرفها أو سمع بها، أو قدر وجودها.

كلا - أقولها مرة ثانية - فالإسلام كان صالحاً لعصر محمد وصحبه، وبقي صالحاً في عصر الذرة والصاروخ ومركبات القمر، وسيبقى صالحاً، وسيبقى دستور الحق والخير، والجمال، وطريق سعادة الجسم، والعقل، والروح في كل عصر»^(١).

(١) فكروا: لماذا؟ فصول إسلامية، علي الطنطاوي، ص ٢٠٤، ٢٠٣.

ويبرز توجه الطنطاوي الإسلامي من خلال نظرته إلى العبادات باعتبارها ركائز الإسلام، وتعاليمه السامية، وتناوله لها بما يوضح مظاهر العظمة فيها، ويبين جوانبها الروحية المشرقة في سبيل الشعور بأهميتها، وقيمتها، والوصول بالمسلمين إلى تعظيمها، والتمسك بها.

ففي مقالته «الله أكبر»^(١) نراه يحاول أن يستجلي حقيقة هذه الكلمة، حين تمثل شعاراً إسلامياً يثير في المسلم خواطر تجتث كل ما في نفسه من معاني الخوف، والقلق، والرغبة، والفرح؛ لتستبدل بها الأمن، والقوة، والثبات بالله الكبير المتعال. حيث يقول:

«وإذا اصطف المسلمون للقتال، ورأوا جيش العدو كبيراً، كثير العدد ذكروا أنهم مع الله، وأن الله أكبر.

الله أكبر.. كم هتف بها المسلمون في معاركهم فارتجت منها الأرض، وتزعزت منها الحصون، وانتزعوا بها النصر من فم العدو، وأزاحوا بها التيجان من رؤوس الجبارين...»^(٢).

ويبرز توجه الطنطاوي الإسلامي من خلال موقفه الواضح من الدعوات الحديثة، والشعارات التي تخدع الكثيرين، وتستهوهم دون وعي لمدلولها الذي يستهدف هدم القيم، والنيل من الإسلام.

من ذلك مقالته «ما هي التقديمية»^(٣) التي يستجلي فيها دلالة هذا

(١) مقالات في كلمات، علي الطنطاوي، ٢ / ٢٢٧.

(٢) مقالات في كلمات، ٢ / ٢٢٧، ٢٢٨.

(٣) مقالات في كلمات، ١ / ١١٩.

اللفظ البرّاق «تقدمي» والذي يحمل في طواياه خبثاً شديداً، يستتر أتباعه بجمال لفظه عن حقيقة معناه ودلالته. إذ يقول:

«وهل كل جديد خير من كل قديم؟»

إن أقدم شيء في الدنيا هو العقل فإذا تركنا الدين وصرنا ملحدين . لأن الدين قديم . فيجب أن نترك العقل ونصير مجانين؛ لأن العقل أقدم من الدين!.

فما معنى التقدمية إذن؟ أخشى أن يكون معناها تقليد الغربيين في الخير والشر، فإذا كشفوا العورات كان سترها رجعية، وإن أعلنوا الزنا كان إعلانه تقدمية، وإن لبسوا «البنطالون» من فوق، و«الجاكيت» من تحت، أو قعدوا على الأرض، ووضعوا الكراسي على رؤوسهم، وأكلوا الحساء «الشورية» بالشوكة، والبطيخ بالملعقة؛ فقد وجب في شرعة التقدمية أن نصنع مثلما صنعوا، وإلا كنا رجعيين!... إن كان هذا هو المراد بالتقدمية فتجمّعوا، وتشجّعوا وقولوا، وأريحونا، ولا تدعوه يطالعنا من خلال السطور، ومن بين الكلمات..^(١).

ولم يكتف الطنطاوي بكشف زيف الشعارات، بل كان يحذر من البدع، ويثور على الانحرافات، ويكشف الضلالات، كما في مقالته «تعقيب»^(٢)، التي يكشف فيها عن أصل البدع المنتشرة بين الناس: من

(١) السابق، ١ / ١٢٠.

(٢) فصول إسلامية، ص ١٨١.

التبرك بالقبور، والتوسل بأصحابها، إلى انصراف الشباب عن الدين، وتوهم قصوره عن مواكبة أحداث العصر، ومخاطر ذلك؛ ليقدم العلاج المناسب لهذا الزخم الذي عكس صفو الحياة الإسلامية من خلال الواقع العملي لا الخيال والأمانى، ويلخصه في النهاية بقوله:

«وملاك الأمر تعريف الشباب بالإسلام، وترجمة كتبه إلى لسانهم؛ لأن الإسلام في ذاته قوة هائلة، سره فيه، وفيه دلائله، فمن عرفه على حقيقته، لم يستطع إلا أن يكون مسلماً، فإذا كان العلماء حريصين حقاً على ازدهاره، وعودة أهله إليه، ورجوع الأمة الإسلامية إلى مجدها فهذا هو الطريق...»^(١).

المقال الاجتماعي:

يبرز اتجاه الطنطاوي الإسلامي من خلال رؤيته المتزنة بميزان الإسلام في حل قضايا المجتمع، ومعالجة مشكلاته عن رغبة في إعادة توازن المجتمع ورد كل شيء إلى أصله الإسلامي الذي انحرف عنه.

فالطنطاوي إسلامي في نظرتة إلى المرأة؛ حيث لم يجعل منها دمية في يد الرجل يستمتع بها، ثم يحطمها وقت ما يشاء، ولا يرضى لها أن تترك أنوثتها؛ لتصارع الرجال في ميدان الأعمال وتحمل الأعباء التي تعرضها للمهانة والشقاء، وتحملها فوق حملها الثقيل حملاً يسوقها إلى فقد ذاتها ونسيان نوعها.

(١) السابق، ص ١٨٦.

بل يسعى بها لتكون ملكة متوجة في بيتها، تتعلم ما يصلحها لبيت زوجها، ورعاية أولادها؛ لتجد سعادتها الحقيقية، وتحقق ذاتها، وتشعر بدورها في صنع المجتمع، وتربية الأجيال. يقول:

«والبنت مهما بلغت من المنزلة والغنى، والشهرة والجاه، لا تجد البنت أملها الأكبر، وسعادتها إلا في الزواج، في أن تكون زوجاً صالحة، وأماً موقرة، وربة بيت. سواء في ذلك الملكات والأميرات، وممثلات هوليوود ذوات الشهرة والبريق الذي يخدع كثيرات من النساء. وأنا أعرف أدبيتين كبيرتين في مصر، والشام، أدبيتين حقاً، جمع لهما المال، والمجد الأدبي، ولكنهما فقدتا الزوج، ففقدتا العقل وصارتا مجنونتين، ولا تحرجيني بسؤالني عن الأسماء فإنها معروفة...»^(١).

كما تتضح وجهة الطنطاوي الإسلامية من خلال نظرته إلى الشباب، واهتمامه بقضاياهم، ومشاركته له في عواطفه، واهتماماته وآماله، باعتباره طاقة المجتمع، وأداته نحو التحضر، ومستقبله نحو النهوض والإصلاح حين يُبنى بناءً قوياً، ويوجه توجيهاً إسلامياً فاعلاً، منتجاً، بعيداً عن لوثات الفكر، وخور العزائم، واضطراب العواطف. ومن هنا يقول:

«الشباب يا سادتي، الواحة الفريدة في صحراء الحياة، وهو الربيع في سنة العمر، هو البسمة الواضحة على ثغر الزمان القاطب.

(١) يا ابنتي صور وخواطر، علي الطنطاوي، ص ١٥١.

لست أعني هذا الشباب الغض الغريز، الحلواني، الذي يجرح خديه لمس النسيم، ويدمي بنانه مس الحرير، والذي ترق عنده الحياة، حتى تسيل من العيون نظرات ساحرة مغرية، وتدق جلائل الأعمال فيها حتى يستحيل إلى فكرة تطير كالفراشة بين أزهار الجمال في روضة الحب، أو نسمة معطرة تهب من حواشي فتاة فتانة، أو قبلة فيها خمر، وعسل تجمع لذائد الدنيا في رشفة مسكرة.

لست أعني هذا الشباب الفاتن المتأنث الذي يعيش للهوى، والأحلام، ويبدأ تاريخ حياته بالحاء (ح)؛ فلا يلبث أن ينتهي بالباء (ب)...

إنما أعني الشباب الحي، العامل، القوي، المتين، الذي وضع له غاية في العيش أبعد من العيش، ونظم نفسه حلقة في سلسلة شعبه، واتخذ له مطمحاً، ومثلاً عالياً ثم عمل على بلوغه، وسعى إليه باندفاع الصواعق المنقضة، وقوة العواصف العاتية، وثبات الطبيعة، وألقى في سفر حياته الرء بين الحاء، والباء! وهل الحياة إلا حرب دائمة، ونضال مستمر، وتنازع على البقاء، وتسابق إلى العلاء...^(١).

وتتضح وجهة المصلح الاجتماعي، من خلال نظراته إلى التعليم، والمناهج، باعتبارها أهم شيء في إحداث الرقي والتطور. والطنطاوي ظل حريصاً على تطوير المناهج. وخاصة الدينية. والإشادة بها داعياً إلى تكثيفها، وتطويرها، على نحو ما يقول:

(١) «المثل الأعلى للشباب» فصول إسلامية، ص ٤٢، ٤١.

«... وحين يطلع هؤلاء التقديميون الذين ربّاهم الأجانب على اعتبار الإسلام (بعبعا) مخيفاً، وشيئاً عنيفاً رجعيّاً، حين يطلعون على الإسلام الحقيقي، لا الإسلام الذي صور له بعض المشايخ، أو رأوه في بعض الكتب المتأخرة، يسعون هم أنفسهم إلى تعلم علوم الإسلام، ويسعى إليه النصارى للعلم لا للدين، ومن لم يصدّق، فليسأل الأستاذ الكبير (فارس بك الخوري)^(١) عن قيمة الثقافة الإسلامية وعن أثر القرآن في الفصاحة، والبيان»^(٢).

وتتضح وجهة الطنطاوي الإسلامية في موضوعاته وأفكاره، من خلال اهتمامه بالإنسان في مراحل حياته المختلفة، وتقديمه له ما يتناسب مع كل مرحلة من مراحل عمره، فهو كما تكلم عنه شاباً، ورجلاً، لم يهمله طفلاً، بل قدم له الكثير من التوجيهات والآراء التربوية التي تخصه، فقد أوصى برعاية الأطفال، وحمايتهم من التشرد حتى لا يكونوا مجرمين في المستقبل، وحذّرهم مما يفسد أخلاقهم، من المجالات والقصص المترجمة، والمقتبسة، وطالب بثقافة الأطفال الإسلامية التي تربي فيهم الجد، والشجاعة، وتبث فيهم الطموح، والفضيلة ضارباً من نفسه المثل، بما قدمه لهم من قصص كان محورها الأساسي التوجيه، والتهديب والتربية الإسلامية بأسلوب أدبي سهل ورشيق^(٣).

(١) فارس بن يعقوب الخوري (١٢٩٠-١٣٨١هـ) = (١٨٧٣-١٩٦٢م)، من رجال السياسة والأدب في سوريا (معجم الأعلام ص ٥٨٤).

(٢) «دروس الديانة في المدارس» فصول إسلامية، ص ٢٦٣، ٢٦٤.

(٣) الأدب الإسلامي «الشيخ علي الطنطاوي مربيّاً إسلامياً» أحمد حسن الخميسي ص ١١٦، ١١٧، العداد (٢٤ - ٣٥).

والطنطاوي إسلامي، حين يعالج مشكلة الفقر، بما طرحه الإسلام من تفعيل دور الرابطة الأسرية التي يتحمل فيها الغني أعباء قريبه الفقير العاجز عن الكسب، انطلاقاً من أن من يرث قريبه إذا مات، ينفق عليه إذا عجز أو افتقر، مشيداً بهذا الحل الذي قدمه الإسلام في باب النفقات والتضامن الاجتماعي^(١).

وهو إسلامي. أيضاً. حين يدعو إلى تحقيق العدالة الاجتماعية، وتقريب الفوارق الطبقيّة: إذ لم يدع إلى ذلك عن طريق الثورة على الأغنياء، أو استباحة أموالهم، وإنما دعا إلى ذلك من منطلق الرؤية الإسلامية التي تحض الغني على الإحسان إلى الفقير، وإطفاء نار حرمانه بذنوب من عطفه وإحسانه؛ ليضمن بذلك سعادة الدارين، والعيش الهانئ الآمن من ثورة الفقير، وتمرده. يقول:

«ولسنا والله شيوعيين ولا اشتراكيين، ولا يرانا الله ندعو إلى هذه (اللغة الحمراء)، ولا نؤلب الناس بعضهم على بعض، ولكننا ندعو إلى الشعور الذي لا يكون الإنسان إلا به إنساناً، والإحسان هو شعبة من شعب دين الإسلام...».

فمن اختار من الأغنياء وأرباب المراتب الضخام ألا يكون إنساناً، ولا مسلماً، فليفعل، فإن في جهنم مثوى ومتسعاً للمتكبرين^(٢).

(١) مقالات في كلمات، ٢ / ٢٣٩.

(٢) في سبيل الإصلاح، ص ١١٩.

المقال السياسي:

لا نخطئ القول إذا قلنا: إن الطنطاوي إسلامي في رؤيته السياسية؛ إذ يرى أن السياسة لا ترتجل، بل لها ضوابط وقيود إسلامية تحميها من الشطط، وتعضمها من الطغيان والإفساد، فالسياسة عنده ليست منفلة أو منفصلة عن الدين، وليست ألعيب وحيلاً وصراعاً على الكسب والربح من أي سبيل، وليست غاية تبرر الوسيلة كما يرى أصحاب الرؤى المنحرفة.

ومن هنا يؤكد - دائماً -: «أن الفرق بين الإسلام وغيره أنه دين، وسياسة، وعلم، وتشريع في الوقت نفسه. فهل يعاب الإسلام بهذا؟ والذي يقول: إن السياسة أو الحقوق ليست من الإسلام فعليه أن يمحو من القرآن براءة، والأنفال، ومئات الآيات التي تبحث في الأحكام، والتي أفردتها (الجصاص)^(١) وغيره من العلماء بالتأليف فيها»^(٢).

ومن ثمّ كان يرى أن الإصلاح السياسي، والاجتماعي لن يكون أبداً بسن القوانين، وتشديد العقوبات، بقدر ما يكون برد الناس إلى الدين، وتقوية شعورهم، وتهذيبهم من خلاله.

فيقول مخاطباً الحكام، والساسة: «... واعملوا على ردّ الناس إلى الدين فإنه لا يدفع هذه الشرور، ولا يدرأ هذه المفاصد، ولا يمنع هذا الفساد إلا الدين.

(١) أحمد بن علي الرازي، أبو بكر الجصاص ٢٠٥ - ٢٧٠ هـ / ٩١٧ - ٩٨٠ م، (معجم الأعلام، ص ٥٤).

(٢) من مقالة «الدين والسياسة» مقالات في كلمات، ١/ ٢٢١.

إن الذي يخاف القانون وحده، يخافه ما بقي الشرطي واقفاً، فإن ذهب الشرطي رتع الرجل. فهل تستطيعون أن تقيموا على كل رجل شرطياً يراقبه؟ وإذا كان الشرطي نفسه يحتاج هو - أيضاً - إلى مراقب؟ أما الذي يخاف الله فإنه يعلم أنه يراه دائماً، وأنه مطلع عليه في سره وجهره، وهو معه أينما كان، فيمنعه خوفه من الله من أن يسرق، أو يزني، أو يظلم أحداً، أو يعتدي على أحد، وها أنتم هؤلاء جربتم ترك الدين، والبعد عنه، والزهد فيه فماذا وجدتم؟^(١).

فالطنطاوي بذلك يبين الطريق للحاكم، أو السياسي المسلم الذي يريد أن ينفذ له المجتمع، ويرغب في إصلاحه واستقامته؛ مؤكداً أن ذلك الطريق هو طريق الله في شرعه الحكيم؛ لأن الحاكم حين يستمد أحكامه من شرع الله سيجد استجابة، وسيرى طاعة، وانقياداً، وانتماءً؛ لأن الشعب المسلم حين ذاك سيرى أن في طاعته للحاكم طاعة لله، وفي انتمائه له انتماء للدين، وبذلك تتحقق رغباته، وتثمر نظمه، وتجدي توجهاته الإصلاحية؛ لأنها تقوّت بالشرع، وهيمنت به على النفوس.

أما حين يبتعد الحاكم عن منهج الله؛ فإنه بذلك سيفقد تلك القوة الهائلة التي يمكنها الشرع له في اقتياد النفوس وانتمائها؛ فتصبح قراراته، وتصير نظمه وقوانينه موضع الريب، ومحل التهرب والتمرد مهما حاول فرضها بالقمع والعقوبات، كما هو الحال - مثلاً - في تهرب

(١) من مقالة «أساس الإصلاح»، مقالات في كلمات، ١١٧/٢.

الناس من الضرائب التي فرضها الحاكم، وسرعة استجابتهم في إخراج الزكاة التي فرضها الله تعالى.

كما نبّه الطنطاوي الحكومات إلى ضرورة نشر الدين، وتعميق أثره في النفوس، خاصة بعدما تأكد للجميع بالنظر والتجربة أن ما يحدثه الدين في النفوس من التقويم والإصلاح لا يمكن أن يحدثه غيره من قوانين وعقوبات، ودليل ذلك قائم في كل نفس؛ إذ يستشعر المسلم الذنب، ويتملكه الخوف إذا علم أنه خارج على أمر الله، كما لا يمكنه التصريح بخروجه عليه، بخلاف خروجه على أمر غيره، وعدم اكترائه بذلك.

المقال الوطني:

تبدو إسلامية الطنطاوي من خلال طرحه لفكرة الوطن الإسلامي الكبير الذي تزول فيه الحدود، وتمزق فيه القيود. ومن هنا كان كثير الدعوة في موضوعاته الوطنية إلى الربط بين أقطاره، وتحقيق وحدته، باعتباره وطناً واحداً يجمعه دين واحد، وشعور واحد، ومصير واحد.

يعبر عن هذا الشعور بقوله: «أما إنني إن أحببت مصر؛ لأن منها أصلي، وأحببت الشام؛ لأن فيها مولدي، وأحببت الحجاز لأن إليها قبلتي، فإنني أحب العراق؛ لأن فيها أجمل ذكرى الماضي، وأحب كل بلد يقول أهله: لا إله إلا الله محمد رسول الله؛ لأنه بلدي، وأهله أهلي...»^(١).

(١) «من دمشق إلى بغداد»، بغداد مشاهدات وذكريات علي الطنطاوي، ص ٣٢.

ويثور على قبولنا تجزئة الوطن الإسلامي، والفصل بين أقطاره بهذه الحدود، التي صنعها المستعمرون لإضعاف شوكة المسلمين، والانفراد بمن يريدون منهم، بقوله:

«وهل كل من حمل شارب الرجل ولبس لباسه كان رجلاً؟ لو كان هؤلاء كلهم رجالاً، فهل كان يمكن أن تبقى بلاد العرب إلى اليوم مجزأة مقطعة تفصل بينها حدود، يطؤها الأجنبي ويتحكم فيها، ويستغلها، ويستعبد أبناءها...؟»^(١).

كما تعجب الطنطاوي من عدم قيام الوحدة الإسلامية التي أصبحت حلمًا، وأملًا برغم توافر مقوماتها لدينا! فقال:

«اعقلوا يا ناس! فإن الألمانى يدخل فرنسا، وإن الفرنسى يلج ألمانيا، فلا يمشى فيها ساعة حتى يرى كل شيء قد تبدل فلا اللغة باللغة، ولا العادات بالعادات، ولا الوجوه بالوجوه، أما العربى... أما أنا فى بغداد.. ماذا تغيّر علىّ؟ أليس ماضى بغداد ماضىّ؟ وحاضرها حاضرى؟ أليس الرشيد خليفتى؟ والوحدة، والعزة أملى...؟»^(٢).

ومن هنا فقد برئت موضوعات الطنطاوي وأفكاره من العصبية، والقومية، فكتب في قضايا العالم الإسلامي بشعور إسلامي واحد، مرشداً، ومناقشاً، وموجهاً، ومسانداً، يدفعه حبه للإسلام، وأخوته

(١) «رجل في ملابس النساء»، في سبيل الإصلاح، ص ٤١.

(٢) بغداد مشاهدات وذكريات، ص ١٤١.

للمسلمين إلى النصح السديد، والرأي الرشيد الموافق للإسلام. يقول في مقالته «عودوا إلى محمد» التي كتبها في ذكرى مولده ﷺ:

«هذا يوم مولد محمد! فيا أيها العرب جميعاً من مسلمين، ومن نصارى، من شاء منكم أن يعرف فضل محمد على العرب، فليفكر أين كان العرب في التاريخ لولا محمد؟

أي ثقافة كانت لهم؟ وجماع ثقافتهم هذا الشعر: شعر بدوي في أغراض البدو، وصور البادية؟

أي عز كان لهم، وملكهم في العراق مدير ناحية في دولة كسرى، وملكهم في الشام عامل في مملكة قيصر؟

أي جامعة كانت لهم؟ وهم أشتات لا تربطهم أخوة العروبة، بل تجمعهم رابطة القبيلة، وكانوا مختلفين أبداً: اليمن تعادي عدنان، وبكر تحارب تغلب، وعبس تناوئ ذبيان، وكان أمرهم فوضى، لا شرعة إلا شرعة القوة، ولا حكم إلا حكم السيف، وكانوا قابعين وراء رمالهم، قانعين بسوء حالهم، وبلاغة مقالهم، على طيب العنصر، ونقاء الجوهر.

فمن الذي بدلهم تبديلاً بين عشية وضحاها، حتى كأن قد خلقوا به خلقاً آخر؟ من صنع من انقسامهم وحدة لم تعرف لها الدنيا شبيهاً؟ ومن جهلهم أمة علمت أمم الأرض؟ وأخرجهم من عزلتهم حتى فتحوا بسيفه الدنيا وهدوا بهديه العالم، ورفعوا بيده رايتهم على كل أرض وتحت كل نجم؟

من الذي أقام حضارة دمشق، وبغداد، وقرطبة، والقاهرة،
والقيروان، وأصفهان، وبلخ، ودهلي، إلا محمد؟

من الذي أخرج القادة الذين كانوا عباقرة الميادين، وأبطال
الحروب إلا محمد؟

من نشأ العلماء الذين كانوا نبراس الدنيا، وهداة العقول، في كل
علم معقول، أو منقول، إلا محمد؟

من مد للعرب أسباب المجد، وأعطاهم مفاتيح الخلود إلا
محمد؟

أي مفخرة يفخر بها اليوم عربي، لم تكن من صنع محمد؟ احذفوا
من تاريخ العرب كل شيء إسلامي، ثم انظروا ماذا يبقى؟^(١).

وهكذا يبين الطنطاوي في إيمان صادق أن الذي صنع العرب،
وجعل لهم وجوداً، وكياناً إنما هو الإسلام واتباعهم لنبيه ﷺ
فإن هم عادوا اليوم إليه عاد إليهم ما كان لأسلافهم من مجد وعزة.
يقول:

«فإذا أردتم يا أيها العرب، أن تحتفلوا بمولد محمد حقاً، فعودوا إلى
محمد يعد لكم عزكم، ويرجع مجدكم وتسودوا الدنيا مرة أخرى»^(٢).

(١) مقالات في كلمات، ١/ ١٨٠، ١٨١.

(٢) مقالات في كلمات، ١/ ١٨٢.

وبذلك يتضح هدف الطنطاوي الإسلامي من مقاله الذي جعلنا نؤمن بضرورة وحدة الأمة الإسلامية، ونشعر بوجود انتمائنا إلى الإسلام وحده، وصدورنا عن قيمه وتعاليمه، وتمسكنا بمنهجه القيم الذي يضمن لمن أخذ به العزة، والمجد، والسيادة.

المقال النقدي:

يبرز اتجاه الطنطاوي الإسلامي في نقده من خلال تصويره الصحيح لمعنى النقد؛ إذ كان يراه بناءً وتقويماً نحتاج إليه؛ ليقود خطانا إلى الطريق الصحيح.

وإن الناقد ليس عدواً ولا خصماً وإنما هو صديق وناصح، حين يقوم بدوره دون مجاملة أو إحجاف، وحين يدرك غايته، ويسعى إلى هدفه في حيدة وإنصاف.

ففي مقالته «في النقد»^(١) نرى الطنطاوي يعزو سبب اختناق النقد وموته، إلى ابتعاد النقد به عن غايته، ومثله العليا، مما جعلهم يخلطون بينه وبين السب والشتم، وإلى تحاشي الأدباء له، وغضبهم منه، واعتبارهم النقد خصوماً لهم؛ ليعلم لنا بعد ذلك عن منهجه النقدي القويم. فيقول:

«من أجل ذلك مات النقد في بلادنا، وجهله الناس ولم يبق من يفرق بينه وبين السب والشتم، ويعلم أن الذي ينقد ليس عدواً ليسب ويشتم؟

(١) فكر ومباحث، ص ١٧٤.

ولا خصماً يريد أن يهدم الأديب الذي ينقده، ولكن الذي ينقد أديب له ميزان حساس وصنجات موزونة، وعنده مثل أعلى فهو يقيس عليه القطعة التي ينقدها، ويبين مقياسها ويعطيها ما تستحق من التقدير.

هذا هو النقد الذي سأكتبه وسأجتهد أن أدنوه من قواعد النقد الأدبي، وسأفتح صدري لكل جواب يأتيني أو اعتراض يرد علي، وسأزنه بميزان الحق، ثم أحكم به لي أو علي...^(١).

وكان الطنطاوي ليقظة حسه، وغيرته يهاجم كل ما يفسد الذوق، أو ينال من الخلق والدين.

يقول أستاذنا الدكتور/ محمد رجب البيومي عنه: «وكنيت أخذ عليه شدة هجومه على مخالفيه، وأعد ذلك تسرعاً لا موجب له، ولكن مرور الزمن بعجائبه المدهشة جعلني أستسيغ هذا الهجوم في بعض مناحيه؛ إذ أجد نفسي أحياناً أمام أناس يتكبرون لأشرف مبادئ الإسلام، ويعدونها تقهقراً للوراء جرياً وراء أهواء جامحة مريضة، وصاحب الأهواء المغرضة لا يعنيه دليل منطقي أو يفحمه برهان عقلي، بل يسدر في غلوائه متبجحاً متطاولاً، ولا بد لهؤلاء من غصبة مضرية يقوم بها كاتب متوهج الأحاسيس من أمثال علي الطنطاوي، وأبي الحسن الندوي، ومحمد الغزالي ممن رزقوا مع قوة الإيمان، وصلابة اليقين حرارة الأسلوب وقوة الدليل...»^(٢).

(١) من مقالة «في النقد»، فكر ومباحث، ص ١٤٨، ١٤٩.

(٢) «الشيخ علي الطنطاوي»، د/ محمد رجب البيومي - مجلة المنهل - ص ٩٠، عدد ٥٦١، مجلد ٦٥،

رجب ١٤٢٠هـ/ أكتوبر ونوفمبر ١٩٩٩م.

وهذه حقيقة، إلا أنه يؤخذ عليه في هذا.. اندفاعه الشديد الذي حمّله. أحياناً. على المبالغة في المنقود، والكلام عنه بما قد يغري به... فكان نقده له كالدعوة إليه، والإعلان عنه، كما في مقالته «نداء إلى أدباء مصر»^(١)، و«نحن المذنبون»^(٢). وفي مقالته «عدوان على مصر»^(٣) التي يتعرض فيها للنقد، والتحذير من (فيلم) يعرض في مصر يحمل من سوء الغاية، وخبث الوسيلة ما ينال من الأخلاق والآداب، والتعليم في مصر. يقول:

«يعرض في مصر الآن فيلم اسمه «لبناني في الجامعة» تظهر فيه الجامعة أولاً بينائها وقبتها حتى لا يبقى عند أحد شك أنها الجامعة المصرية... فترى في بركة الجامعة الطلاب والطالبات بالأجساد العارية، والعورات البادية، ثم تبصرهم يعمدون إلى طالبة لابسة ثيابها الكاملة، فيحملونها ويلقونها في الماء، فإذا خرجت كالقطة المبللة حفوا بها ضاحكين عابثين...»^(٤).

ومثل هذا الوصف للمنكر وتعيين اسمه ومكانه قد يغري به ضعاف النفوس ممن كانوا يجهلونه قبل ذلك.

وقد أدرك الطنطاوي خطورة هذا الأمر، ولذلك رأيناه. بعد ذلك

(١) صور وخواطر، ص ١٩٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٠٢.

(٣) هتاف المجد، ص ٣٦.

(٤) عدوان على مصر، «هتاف المجد»، ص ١٨٩.

في ذكرياته يحذرنا من المبالغة في نقد المنكر، إلى حد تعيين موضعه أو اسمه، حتى لا يكون في نقد المنكر إعلان عنه ودعاية له. فيقول:

«ومن طريف أخبار.. الوعاظ، أذكروا ولو لم يكن هذا مكانه، أن أحد مشايخنا جاء من يقول له: إن (منيرة المهدية) تغني وترقص في (العباسية)، فأعلن غضبه في درسه في «الأموي» وقال: كيف ترقص المرأة أمام الرجال وهي كاشفة جسدها مبدية مفاتها؟! أين الدين، وأين النخوة؟»

قالوا: نعوذ بالله، وكيف يكون هذا، وأين يا سيدنا، ومتى؟

قال: في العباسية في الليل بعد صلاة العشاء، وكان نصف المقاعد خالياً فامتلات تلك المقاعد كلها! فلينتبه الواعظون، فكثيراً ما تكون المبالغة في وصف المنكر دعاية له»^(١).

المقال الوصفي:

تظهر الإسلامية في وصف الطنطاوي من خلال توجهه الملتزم الذي ينأى به عن وصف المحرم، والإشادة بما يكره الشرع؛ متجهاً في وصفه إلى إبراز الجمال المباح، والجلال المتاح، الذي يلبسه أثواباً قشبية ويعطيه من عواطفه، وأحاسيسه ما يجعله جديداً متلوناً بألوان

(١) ذكريات علي الطنطاوي، ١/٣٦.

نفسه التواقة إلى البراعة والجمال، والقدرة والجلال في خلق الله وكونه العظيم؛ ليخرج بالإنسان من ماديته ومحدوديته إلى عالم فسيح من المعاني الجميلة، والمتعة النبيلة التي قال عنها:

«تمر على الإنسان ساعات، بل لحظات ينسى فيها هذا العالم المادي، وهذه الحياة القصيرة الناقصة، ويحس كأنه يعيش بنفسه حياة أكمل وأجمل، تخالط نفسه مشاعر لا عهد له بها، ولا يقدر على وصفها، وتغمر قلبه لذة لا يعرف أي شيء هي، فيشعر أنه انتقل إلى عالم سحري جني عجيب، كهذه اللحظات التي تمر علينا في غمرة التأمل النفسي، أو في هذه الموسيقى، أو في نشوة الحب، أو حين الاستغراق في العبادة والمناجاة...»^(١).

فمن هذه المقالات التي نعيش معه فيها هذه اللحظات من الإحساس الجميل، مقالته التي يصف فيها دمشق، ويشيد بمعالمها، فيقول:

«فيا من في دمشق تنشقوا عبير الخلود من دمشق، فما تلقون إن فارقتموها مثلها، مثل ميزانها، وشاذروانها، وغوطتها، وواديها، والأنهار السبعة التي تمتد على السفحين في الربوة، كأنها عنقود اللؤلؤ في جيد الحسناء، والبساتين التي يضل فيها النظر سكرًا من الفتون، وهذي المنارات، وهذه القباب، والمسجد الذي تكسرت على جدرانها أمواج القرون وهو قائم، وارتدت عنه العصور وهو شامخ يروي لأبناء الأرض تاريخ الأرض مذ كان معبدًا وثنيًا، إلى أن صار كنيسة نصرانية، إلى

(١) «إلى لبنان»، مع الناس، علي الطنطاوي، ص ٢١٨.

أن غداً جامعاً إسلامياً. وهذا الجبل الذي يفتر أبدأ عن مثل ابتسامة الأمل في وجوه المطالب على حين تعبس الجبال، لن تلقوا بعدها مدينة مثلاً.. ثيابها زهر، ونسيمها عطر، وحديثها شعر، وجمالها سحر، ومياهها خمر حلال؛ لأنها جنة المستعجل...»^(١).

فهذه السلاسة في الوصف، والبراعة في نقل الأحاسيس تجعل الطبيعة الساكنة الميتة متحركة تنطق بالحكمة، والجمال؛ لتَهز النفس، وتوقظ الحس.

والطنطاوي في رحلاته الكثيرة ينقل إلينا مشاهد عبر وصفه الرائع، بل إنه يحملنا معه إلى عالمه الجميل، ويخرجنا من دنيانا الضيقة، وعالمنا المحدود إلى عالمه الواسع الرحب؛ لنرى صوراً عجيبة، ونشعر معه بأحاسيس جديدة.

من ذلك وصفه الرائع لثورة نهر دجلة، وتصويره لمشاعره، وأحاسيسه تجاه هذا الحدث، يقول:

«تركت الدار وخرجت أصبح في هذا الخضم من الناس أدفع النساء، والشيوخ والشباب لأصل إلى الشاطئ فأعمل عملاً، ولست أدري ماذا أعمل؟ ولست أحسن السباحة، ولست أعلم ما الفائدة من ذهابي..

ولم أفكر في شيء من ذلك؛ لأن الإنسان لا يفكر في ساعة الخطر، وإنما يعمل.

(١) «بردى والغوطة»، ذكريات علي الطنطاوي، ٢٤١/٢.

فلما وقفت على الصدع هالني، وأرعبني أن النمر قد أفلت من القفص، وخرج يعدو مجنوناً مستطار اللب كاشراً عن أنيابه يزمجر ويزأر، ويبرق ويرعد.

إن الماء يندفع إلى العلاء بقوة الديناميت، ثم ينزل على الحقول فيمضي مكتسحاً كل شيء في طريقه.. يقتلع الأشجار الضخمة، ويقذف بها كأنما هي عيدان الكبريت، وينسف البيوت كأنما هي علب من الورق، ويتدفق من كل جهة، وقد ابتلع صوته المدوي كل ضجة، وملاً الأسماع بترتيلة الموت المستمرة.

وكان لمنظره في ظلمة الليل صورة لا توصف.

وأقدم الناس يسابقون الماء؛ ليقيموا في وجهه السدود؛ ليقيدوا هذا النمر الهائج بحمية منقطعة النظير، وحماسة نادرة المثال... وأقدمت أخوض هذه اللجة من الناس؛ لأصل إلى اللجة الطامية من الماء.

أمشي في ظلمتين: ظلمة هذا الحشد المزدحم، وظلمة الليل البهيم! أتعرض لرهبتين: رهبة الليل وسواده، والسيل واندفاعه. أصغي إلى لحنين: لحن الروع على ألسنة الناس، ولحن الهول على لسان النهر.

ولم أخش شيئاً... إنها ساعة الخطر.

بوركت يا ساعة الخطر!.

أنت لحظة الإنسانية، أنت التي تورق فيك أغصان الحب، ويزدهر فيك الإخلاص، ويعود الناس فيك إخواناً متحابين، قد خرجوا من أطماعهم، ومات في نفوسهم الحسد، والبغضاء، وعاش فيها الحب، والتضحية، والإخلاص، والوئام^(١).

وهكذا ينقل إلينا الطنطاوي مشاعر الخوف، والرعب من ذلك النهر الثائر الذي جسده في صورة نمر هائج أفلت من قفصه، وخرج يعدو مجنوناً كاشراً عن أنيابه يزمجر، ويزأر، ويبرق، ويرعد. ثم أراد أن يرينا قوته، فترأت لنا بقوة الديناميت، ورأينا اندفاعه الشديد الذي يكتسح كل شيء، فيقتلع الأشجار ويقذف بها كعيدان الكبريت، وينسف البيوت وكأنما هي علب الورق؛ ثم يسمعنا دوي صوته وقوة ضجيجته التي ابتلعت كل ضجة، وكأنما هو صوت الموت يملأ النفوس، ويهدد الأحياء.

وجسد لنا حركة الناس، وسرعتهم الشديدة، وهم يتسابقون في ملاحقته بإقامة السدود في وجهه، وتضييق الخناق عليه؛ ليتمكنوا من تقييده.

ولا يترك الطنطاوي تلك الصورة المهولة دون أن يلفتنا إلى ماتوحيه في نفسه من معان مشرقة، استلهمها من حال الناس في ساعة الخطر «إنها ساعة الخطر!». التي ترى فيها مشاعر الإنسانية،

(١) «ثورة دجلة»، بغداد مشاهدات وذكريات، ص ٨٨، ٨٩.

وروح التعاون، والمودة، ونبذ الخصومات، والتعالي على أهواء الذات؛ لذلك يدعو لساعة الخطر، ليس حباً فيها، ولا طلباً لها، ولكن لما تولّده في نفوس الناس من تعاون ومودة، وتحققه من سمو وإخلاص، وكأنما يقول: هل نحن في حاجة إلى الشعور دائماً بالخطر حتى تستمر هذه المشاعر وتبقى فينا هذه الأخلاق؟

المقال الفكري:

يظهر اتجاه الطنطاوي الإسلامي في فكره من خلال اتزان، وارتباطه بوسطية الإسلام، واعتداله؛ لذلك لم ينحرف تحت مؤثرات الفكر المختلفة، والمذاهب المتباينة التي تنحو بأصحابها إما إلى التساهل والميوغة، أو التهجم والتعصب والجمود. بل رأيناه في مقالاته ذا عقل قوي، وفكر سباق متوثب، مزوّد بثقافات مختلفة، وإطلاع واسع سخره في خدمة الدين، وقضايا أمته في استقامة وإبداع.

ومما لا شك فيه أن استمداد الطنطاوي لأفكاره من الإسلام بمصدره الأصل الثابت، ومنهجه القويم الحاسم، قد منح أفكاره القوة، والأصالة، والوضوح؛ بحيث نراها ترجّ النفس، وتتسلّل إليها؛ لتستقرّ في الأعماق، فلا تجد منفذاً للطعن، ولا مكاناً للتردد والشك.

ومن أدلة ذلك رؤيته للحضارة الغربية وموقفه منها؛ حيث يقول:

«وفي إبان يقظتنا وجدنا شيئاً لا عهد لنا به، فوقف فريقان منا موقفين غريبين: فريق أخذ بكل ما جاءت به هذه الحضارة، أخذ تقليد

بلا فهم ولا تمييز، وهذا خطأ...! وفريق رفض كل ما جاءت به بلا فهم ولا تمييز، وهذا خطأ!

والصواب أن نأخذ ما لا يخالف الثابت في ديننا، ولا يناقض الصحيح من سلائقنا وعاداتنا ما دام فيه النفع لنا، ولماذا نرفض نعم الحضارة؟!

إن أفقر فقير فينا يعيش أحسن من عيشة (عبد الملك بن مروان) و(هارون الرشيد).

عبد الملك كانت له ضرس منخورة، وكان به بخر من ذلك. أي إن رائحة فمه كانت قبيحة. ولم يجد طبيباً يحشوها له!، وأفقر فقير يجد الطبيب الذي يحشو الضرس، ويلبسها.

و(أبو جعفر المنصور) كان يشكو من أمعائه، ويتألم منها، فلا يجد حبة «أنثروفيو فورم» أو حبة «نوفالجين»، وأفقر فقير فينا يجدها فيسكن ألمه، وتتطهر من الجراثيم أمعاؤه.

و(هارون الرشيد) كان يسافر على الإبل وعلى الدواب، ويقطع الطريق من بغداد إلى مكة في شهرين، وأي واحد فينا يستطيع أن يركب الطائرة، ويقطع هذا الطريق في ساعتين!.

فمن الذي يقول: إن علينا أن نرفض نعم هذه الحضارة؟! من حرم زينة الله التي أخرج لعباده، والطيبات من الرزق؟! لا، ولكن الذي نقوله:

إن علينا أن نرفض رفضاً باتاً ما يفسد عقائدنا ويوقعنا في المحرمات، ولو عدّه الناس كلهم من أركان الحضارة ومن لوازم الحياة»^(١).

والطنطاوي في مقاله الفكري متوجّه بتوجّه إسلامي قوي، يطمح من خلاله إلى إصلاح خلل المجتمع، وتحفيز رجاله نحو علم ما يفيد. كمقالاته التي تضمّنت دعوته إلى تسهيل النحو بتخليصه من الخلافات، وتقنيته من الحشو الذي صرف الكثيرين عنه، ودعوته إلى تأليف كتاب عن الإسلام يعرضه عرضاً سهلاً شاملاً موجزاً، ودعوته إلى إصلاح المناهج، واختصار مراحل التعليم ودعوته إلى تطوير الامتحانات، والاستفادة بطاقات الشباب^(٢)، إلى غير ذلك من الاقتراحات، والأفكار التي وضّحها، وأقام الحجة عليها، وعلى أهميتها، مما يجعلها جديرة بالتطبيق، واهتمام المسؤولين.

المقال العاطفي:

يلاحظ القارئ لمقالات الطنطاوي أنه لم يستكف عن تناول عاطفة الحب، وغريزة الجنس، وهو الأديب الملتزم، والقاضي الفاضل؛ لأنه كان يلتزم الصدق، ويتجنب مواطن الإثارة، ويحاول أن يسمو بتلك العاطفة، وهذه المشاعر إلى الغاية الصحيحة التي رسمها الإسلام لها، وذلك انطلاقاً من أن الأديب الإسلامي بمنهج القويم الشامل

(١) «نحن والحضارة الحديثة» مقالات في كلمات، ٢/ ٢٣٧، ٢٣٨.

(٢) انظر «أفة اللغة هذا النحو، فكر ومباحث، ص ١٢، «كتاب الدين الإسلامي» فصول إسلامية، ص ١٤٢،

٢٦١، وذكريات علي الطنطاوي ٨ / ٢٤٢، و«الطلاب والعطلة الصيفية» مع الناس، ص ١٧٩.

لا يضيق بمعالجة قضية، ولا تناول مشكلة مهما كانت. لذا يتكلم عن الحب فيقول:

«ومن حرم الكلام في الحب؟ والله الذي أمال الزهرة على الزهرة حتى تكون الثمرة، وعطف الحمامة على الحمامة حتى تتشأ البيضة، وأدنى الجبل من الجبل حتى يولد الوادي، ولوى الأرض في مسراها على الشمس حتى يتعاقب الليل والنهار.. هو الذي ربط بالحب القلب بالقلب حتى يأتي الولد!.

ولولا الحب ما التفت الغصن على الغصن في الغابة النائية، ولا عطف الطبي على الطيبة في الكناس البعيد، ولا حنا الجبل على الراية الوادعة، ولا أمدّ ينبوع الجدول الساعي نحو البحر! ولولا الحب ما بكى الغمام لجذب الأرض، ولا ضحكت الأرض بزهر الربيع، ولا كانت الحياة.

ما في الحب شيء، ولا على المحبين سبيل، إنما السبيل على من ينسى في الحب دينه، أو يضيع خلقه، أو يهدم رجولته، أو يشتري بلدة لحظة في الدنيا عذاب ألف سنة في جهنم...»^(١).

فالطنطاوي هنا يشيد بجمال الحب، ويبرز روعته، وعطاءه في مظاهر الكون؛ ليبين سبيل السعادة به حين يسير في طريقه الصحيح، ويصل إلى غايته المرسومة «بالزواج»؛ وليحذر من الضلال به، والذي يحول الحياة إلى شقاء، وجحيم «بالسفاح».

(١) «في الحب»، صور وخواطر. علي الطنطاوي، ص ٢٠٩.

وعلى ذلك فربوئة الطنطاوي «لعلاقة الرجل بالمرأة» ربوئة إسلامية واضحة في تناوله لموضوعاته تلك؛ إذ لم يخرج بها عن الإطار الذي رسمه لها الإسلام بضوابطه التي تستهدف صيانة المجتمع، وسعادة أفراد به برقي أخلاقه.

المقال التأبيني:

يبرز توجه الطنطاوي الإسلامي في تأبينه من خلال:

١. صدقه، وأمانته. فهو لا يمؤه على سامعيه، ولا يزيّف عليهم، ولا يضيف إلى فقيد ما لم يكن فيه، بل يلتزم الصدق، وينتهج الحق.
٢. تركيزه على الجانب الأخلاقي والسلوكي للفقيد. والذي يحمل المتلقي على الإعجاب، ويدفعه إلى الاقتداء به.
٣. في كونه لا يمنح التأبين لكل أحد بل في اقتصاره على أناس قلائل اشترك في حبهم والتفجع بفقدهم الكثيرون؛ لما قاموا به من أعمال بارزة، وجهود مثمرة.
٤. ويبدو هذا التوجه من خلال صدق عاطفته، وصدقه مع نفسه، والذي يظهر واضحاً من خلال ألفاظه، وصوره، ومعانيه. فألفاظه في ذلك تعكس الحزن، والأسى، وصوره تعبّر عن اللوعة والألم المعتلجين في صدره، ومعانيه متلوّنة بألوان نفسه في أساء على الفقيد وحبّه له، وتقديره لجهوده، ومآثره^(١).

(١) «بغداد في يوم غازي، بغداد مشاهدات وذكريات»، ص ١٠٣، و«عرس الشهداء». علي الطنطاوي،

طبعة دار المنار الحديثة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م.

ومن هنا كان تأيينه «للملك غازي»^(١)، ليس عن مصلحة، أو غرض شخصي محدود، وإنما إغراءً لغيره من الملوك بالسير على نهجه. فقد «صنع غازي قبل موته ما أدخل محبته على كل قلب، وجعله صديقاً لكل عربي»^(٢).

ومن هنا أيضاً نراه يرفع الوهم الذي قد يقع فيه بعض القراء بعد قراءتهم لما رثى به هذا الملك آنذاك بقوله: «قد يظن بعض القراء الآن أنني كنت من أشياع غازي، أو كانت لي به صلة! ولا، والله ما كان لي به أو بغيره اتصال، وما رثيته هذا الرثاء إلا أنه صنع قبل أن يموت ما جعله صديق كل محب للعرب، وكل عدو للإنكليز»^(٣).

ونراه كذلك في مقالاته «عرس الشهداء» التي يؤين فيها شهداء الإخوان، قوي الشعور والانفعال، صادق العاطفة التي انتقلت من خلالها إلينا أحاسيسه، وانفعالاته، وأفكاره فلوّنت نفوسنا بلون نفسه، وأشعرتنا بفضاعة وقع تلك المأساة، حتى إن القارئ لهذه المقالة لا يشك أن الطنطاوي قطب من أقطاب الإخوان، ولكنه يعجب حين يذكر الطنطاوي أنه لم ينتم إلى حزب، ولم ينضم إلى جماعة طول حياته»^(٤).

(١) غازي بن فيصل بن الحسين بن علي الهاشمي ١٢٣٠ - ١٢٥٨ هـ / ١٩١٢ - ١٩٣٩ م، ملك العراق

وابن ملكها وأبو ملكها الأخير. (معجم الأعلام، ص ٥٧٥).

(٢) راجع هامش ص ١٠٤، من مقالة بغداد في يوم غازي - بغداد ذكريات ومشاهدات.

(٣) هامش ص ١٠٩، «بغداد ذكريات ومشاهدات» علي الطنطاوي.

(٤) ذكريات علي الطنطاوي، ٨/ ٨٩، ٩٠.

ولكنه صدق الرجل مع نفسه، ومنهجه الذي التزمه في نشر الحق والإعلان عنه، والثورة على الظلم، والنيل منه.

المقال الإذاعي:

في المقال الإذاعي يبدو الطنطاوي: إسلامي الوجهة، عميق الرؤية، قريب الفكرة، في موضوعاته، وأفكاره.

ففي مقاله عن رمضان يعرضه في صورتين: صورته قديماً؛ حيث جماله، وبهاؤه، وأثره في تربية النفوس، وتنقية القلوب من المعاصي والذنوب، وتلك هي صورته المثلى التي كان يراها في طفولته.

وصورته الحالية التي عكّر صفوها، وشوّ جمالها ما يراه اليوم من سلوكيات مشينة، وأخلاق فاسدة يرجو نبذها، ويدعو إلى تركها وبغضها. يقول:

«هذا الحديث عن رمضان، وفي رمضان النور والعطر، وفي رمضان الخير والطهر، وفي رمضان الذكريات الكثيرة: ففيه نزل الذكر، وفيه ليلة القدر، وكان فيه نصر بدر، وفي آخره عيد الفطر.

ورمضان نور على المآذن، ونور في القلوب، ورمضان صوم عن الطعام، وصوم عن الحرام.

إن كانت الحياة تنازعا على الحياة فهذا الشهر إدراك لسر الحياة، وإن كان العمر كله للجسم فهذا الشهر للروح، وإن كانت الدنيا للتناحر والخصام، فهذا الشهر للحب والوئام.

هذا هو رمضان الذي أبصرت وجهه من كوة الطفولة فأحبيته، ورأيت أثره الخَيْر في كل مكان في دمشق، فأكبرته؛ ثم لم أعد أراه أبداً، فعلمت أنني قد افتقدته وأضعته»^(١).

وبعد ذلك ينقلنا إلى صورته الجديدة؛ لتظهر المفارقة التي لا ترضي مسلماً ملتزماً محباً لدينه، والتي يهدف من خلالها إلى التوجيه والنقد. يقول:

«أما رمضان الجديد فلا تعرفه هذه الشوارع الجديدة، والأحياء الحديثة، ولم يعرف بعد الطريق إليها، ودمشق القديمة لم يعد يستطيع أن يسيطر عليها، فالمساجد مملوءة بالنائمين، والمتحدثين، والمدرسين الجاهلين، والأسواق مفتحة المطاعم مملوءة بالمفطرين، والصائمون تسوء أخلاقهم في رمضان من الجوع وشهوة الدخان، والشياطين تصفد في رمضان ولكن الفساق ينطلقون عاملين فيه، كما كانوا يعملون قبل رمضان...»^(٢).

والطنطاوي فيما أثر عنه من أحاديث إذاعية وطنية، أو اجتماعية، أو سياسية... نراه ملتزماً الوجهة الإسلامية، لم ينحرف عنها في موضوعاته، ولا في أفكاره.

ففي حديثه الوطني «لا تنسوا فلسطين» نراه ملتزماً بمساره الإسلامي في لومه المسلمين الذين استكانوا لمذابح اليهود الآثمة،

(١) «رمضان» صور وخواطر، ص ١٦٢.

(٢) السابق، ص ١٦٢، ١٦٤.

وفي بيانه لغلبة اليهود، وعدوانهم الذي يسانده الكيد، والدسّ منهم، والخيانة وموالاته الأعداء من بعض المسلمين، ومساعدة وحماية من الدول الكبار لليهود.. تلك هي الأسباب الحقيقية لضياع فلسطين، وغلبة اليهود، التي أعلنها دون موارد أو وجل.

كذلك كان إسلاميا واضحا في استلهاه أسباب النصر التي كفلها الإسلام وقدمها لاتباعه، إن كانت هناك آذان تسمع، أو قلوب تعقل، يقول:

«... يجب أن يفهم كل عربي يسمع حديثي، أن الذين غلبونا ليسوا اليهود، بل الإنكليز والأمريكان، وما غلبونا في ساحة المعركة المكشوفة بل بالدسّ، والكيد... هذه حقيقة يجب أن يفهمها كل رجل، وكل امرأة، وكل طفل، وأن يعلمها المعلمون تلاميذهم في دروس التاريخ، وأن يعلموهم معها أننا نستطيع أن نطرد اليهود في كل وقت، إذا تركتنا هذه الدول نعمل، إذا تركونا نستعمل حقنا المشروع في الدفاع عن أنفسنا.

إننا نستطيع إذا صدقنا العزم أن نطردهم على الرغم من هؤلاء الكبار، بل نستطيع أن نحارب الدول الكبار نفسها، وهذا دليلي قاطعاً، هذا الدليل المشهور في بور سعيد، أما ردّت هذه البلدة الواحدة الصغيرة إنكلترا وفرنسا تنبح معهما كلاب الأرض اليهود! أتعرفون لم ظفرت بور سعيد؟

لأنها طبقت الحكم الشرعي الذي كان معطلاً تطبيقه من قرون، فهل تعرفون هذا الحكم؟

هو أنه إذا احتل العدو بلداً من بلاد المسلمين صار القتال فرض عين كفرض الصلاة على الرجل، والمرأة، والكبير، والصغير، فالمقاومة الشعبية التي تحسبون أنها جديدة، هي حكم الإسلام من نحو أربعة عشر قرناً، أما قلت: إن الإسلام فيه كل شيء؟^(١).

كذلك نرى الطنطاوي في حديثه الإذاعي الذي أيد فيه الانفصال بين مصر وسوريا، مستجيباً لتوجهه الإسلامي الذي بين فيه أن موقفه هذا لم يكن كرهاً للوحدة، وإنما بسبب شدة المعاناة الناتجة عن سوء الحكم.

وكذلك نرى الطنطاوي في حديثه الإذاعي «اعرف نفسك» الذي يحاول من خلاله أن يأخذ المستمع إلى رحلة استكشافية عبر نفسه الإنسانية؛ ليتعرف على حقيقتها، ويتنبه إلى قدرتها، وما أودعه الله فيها من أسرار. يقول:

«... وتكون وانياً واهي الجسم، لا تستطيع حراكاً، فإذا حاق بك خطر أو هبط عليك فرح، وثبت كأن قد نشطت من عقال، وعدوت عدو الغزال، فأين كانت هذه القوة كامنة فيك؟ هل خطر على بالك أن تبحث عن هذه القوة فتحسن استغلالها؟ هل تساءلت مرة عندما تغضب أو تفرح، فتفعل الأفاعيل كيف استطعت أن تفعلها؟»^(٢).

(١) «لا تنسوا فلسطين» هتاف المجد، ص ٥٩، ٦٠.

(٢) «اعرف نفسك»، صور وخواطر، ص ٥٠.

وهكذا يسير الطنطاوي في حديثه، في حوار مع النفس؛ ليؤكد في النهاية أن التعرف على النفس وسيلة مهمة للتعرف على خالقها، وقدرته فيها، والتعرف على حقيقة الحياة، وما ينبغي للسير فيها، يقول:

«فيا أخي.. اعرف نفسك، واخل بها وغص على أسرارها، وتساءل أبداً: ما النفس؟ وما العقل؟، وما الحياة؟ وما العمر؟ وإلى أين المسير؟»

ولا تنس أن من عرف نفسه عرف ربه، وعرف الحياة، وعرف اللذة الحق التي لا تعدلها لذة، وأن أكبر عقاب عاقب به الله من نسوا الله أنه أنساهم أنفسهم»^(١).

وهو كذلك في حديثه الإذاعي «في الترام» الذي يعرض فيه لنقد سلوكيات سيئة، وأخلاقيات منحرفة، وأخرى حسنة يستوحي منها ما يفيد؛ منبهاً بذلك الموضوع إلى ما ينبغي أن يكون عليه المسلم من يقظة تدعوه إلى التقاط ما ينفعه، ونبذ ما يضره مما يسمع ويرى يقول:

«إن الترام يكشف أخلاق الناس، وطبائع البلدان، وهو مدرسة يرى المرء فيها القبيح من جاره فيتركه، والحسن فيتعلمه، ويتمتع الملاحظ المدقق بعد هذا كله بفصول (الفلم) البشري المعروض عليه»^(٢).

(١) السابق، ص ٥٠.

(٢) في الترام «صور وخواطر»، ص ١٠٢.

«هذا رجل يأتيك من خلفك، وأنت واقف في زاوية الترام يرجوك أن تقسح له ليمر، فإذا انزحت له أخذ مكانك، وتركك حائراً لا تدري أين تقف...!»^(١).

وهو يسير على نفس الدرب في حديثه الإذاعي «بين البهائم والوحوش» والذي نراه فيه يصطحبنا معه في رحلة إلى حديقة الحيوانات؛ لنشاهد فيها طبائع البشر، وعجائب النفوس مع صور الحيوانات. يقول:

«ووقفت على الفيل وقد تواضع حتى غر الناس منه لينة، ففسوا شدته، وهان على أحدهم حتى أركبه صبيته، وصرفه الفيال واتخذة لعبته، كما يطيع الرجل امرأته فيضيّع رجولته، ويفقد منزلته!»^(٢).

«ووقفت على القردة وهي تعيش العمر كله مجلس لهو ولعب تقلد كما يقلد «قردة البشر» ولكنها تقلد فيما ينفعها وهؤلاء يقلدون فيما يؤذيهم!». وعلى البغاء وهي تردد ما يقال بلا فهم كهؤلاء الذين يعيدون علينا كل ما يقول الغربيون!». وعلى الحيات وهن ناعمات الملمس، ناقعات السم، كالصديق المخادع يخالك ليختالك، ويسقيك من قوله العسل وفيه من قبح مقصده الحنظل...»^(٣).

وعلى ذلك فالطنطاوي إسلامي في أفكاره وموضوعاته متزن فيها

(١) السابق، ص ١٠٣.

(٢) بين البهائم والوحوش «صوت وخواطر، ص ١٠٣.

(٣) السابق، ص ١١٣.

باتزان الإسلام وقيمه، مما برأها من الخلط والانحراف، والغموض، والتشويه، فجاءت في ترابط، واتساق، وقوة تؤثر في المتلقي، وتقنعه؛ إذ يجد فيها حديقة عبقة الأزهار، وارفة الظلال في تناسق عجيب بين الألفاظ، والأفكار، والمعارف القديمة والعلوم الحديثة، وأدلة النقل والعقل، مما أضفى عليها الحيوية، والجدة، والصدق، والعمق، حيث كان الطنطاوي حريصاً أن يتوجه دائماً إلى العقل، ويستطيع بمقدرة فائقة أن يتخذ من الذاكرة مطية للعقل، ومن الماضي وسيلة إلى الحاضر، ومن التاريخ سبيلاً إلى الحقيقة الأزلية الراسخة^(١).

وقد كان في موضوعاته ينتقي من كل علم ما يخدم فكرته، ومن كل موقف ما يؤيد وجهته، ومن هنا يلمح في مقالاته مصطلحات علمية، وعبر تاريخية، وعصرية، ومعارف علمية، وفلسفية، ونفسية، واجتماعية، وأدبية، ولغوية، وقانونية، وشرعية.

حتى «إن القارئ حين يقرأ ما كتبه الشيخ الراحل وهو ابن العشرين أو الثلاثين أو الأربعين؛ ليدهش كيف يتسنى لهذا الأديب الشاب أن يكتب بهذا المستوى الراقي، وكيف جمع في الموضوع الواحد أو القصة الواحدة أو المقدمة الواحدة للكتاب كل هذه العلوم الغزيرة التي تدل على سعة علمه وكثرة اطلاعه، حتى يخيل إليه أن الشيخ الطنطاوي - رحمه الله - لم يترك كتاباً من الكتب العربية القديمة والحديثة إلا قرأه واستوعب دقائقه وتفصيله، ثم تفاعل مع هذه الدقائق والتفاصيل،

(١) الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد، د/ أحمد بسام ساعي، ص ١٤٨، ١٤٩.

واستخرج منها أجمل الدروس والعبر وصاغها هذه الصياغة التي تدل على أنه كالنحلة التي تأخذ من كل زهرة رحيقها ثم تخرجه عسلاً مختلفاً ألوانه وطعومه فيه شفاء للناس»^(١).

ولعل أهم ما يميز أفكار الطنطاوي وموضوعاته وما أكسبها الحيوية والتأثير، والطرافة والإقناع؛ مسها لحياة الناس، والتصاقها بواقعهم مباشرة بإيجابياته وسلبياته، مع وضوح الاتجاه الإصلاحي المبني على أساس الدين الصحيح، باعتباره أقوى محرك للإصلاح ودافع إليه، ومن هنا كان الإصلاح عن طريق الدين هدف ملازم وواضح في موضوعات الطنطاوي وأفكاره، حتى تلك التي كتبها في محور النفس كانت تصب في هذا الاتجاه؛ لأن إصلاح المجتمع يبدأ بإصلاح الفرد، وإصلاح الفرد يبدأ بإصلاح نفسه.

وكذلك كان في تناوله التاريخ، واستدعائه الماضي، هادفاً إلى إصلاح الحياة عن طريق إثارة المفارقة الشديدة بين الماضي والحاضر؛ لدحض سلوكيات منحرفة، والتفكير منها، ونقد توجهات شاذة، والتحذير منها^(٢)، باستثارتها العاطفة، ومخاطبته العقل بأقوى وسائل الإقناع والتأثير، من ضرب الأمثال، وإيراد الحجج، والبراهين،

(١) «الشيخ الطنطاوي»، د/محمد عبده يمانى، مجلة الصحوة الإسلامية، ص ٢٦٩ مجلة فصلية يصدرها القسم العربي بالجامعة الإسلامية. دار العلوم حيدر آباد. الهند. السنة ١٣، العدد ٣٦ (محرم ١٤٢١ هـ/أبريل ٢٠٠٠ م).

(٢) «الأدب الإسلامي» الطنطاوي، صور وخواطر قراءة ثانية، شمس الدين درمش، ص ١٠١، ١٠٢، العددان (٣٤-٣٥) ١٤٢٣ - ٢٠٠٢.

وسرد القصص الاجتماعية، والواقعية، والتاريخية، وأسلوب الحوار، والاستجواب، والتصوير، والتشخيص مستلهماً في ذلك الأسلوب القرآني ومتأثراً بالأداء النبوي^(١).

ولعل أهم من ذلك كله عاطفة الطنطاوي، وإحساسنا العميق بصدق وصحة ما يقول فيما يعالجه من موضوعات وأفكار.



(١) السابق، «الشيخ علي الطنطاوي مربيًا إسلاميًا»، أحمد حسن الخميس، ص ١١٧.